بسم الله الرحمن الرحيم

الاختصار المفيد على كتاب التوحيد للشيخ / الوليد الشعبان سلمه الله

==

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أما بعد :

فهذه دراسة لكتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد الذي ألفه الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى رحمةً واسعة المولود في العيينة سنة 1115هـ والمتوفى في الدرعية سنة 1206هـ .

وهذا الكتاب قد جاء بديعاً في معناه من بيان التوحيد ببراهينه وقد ألَّفه لإصلاح ما كان في عصره من الشرك الأصغر والأكبر ، من عبادة للقبور وتبرك بها وغير ذلك وقد كان رحمه الله قائماً بالدعوة إلى التوحيد بلسانه وسيفه .

وقد شُرِحَ هذا الكتاب عدة شروح منها : شرح حفيد المؤلف الشيخ : سليمان بن عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب – رحم الله الجميع – وهو أول شرح للكتاب واسمه : (تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد) ولم يكمله .

ومنها : كتاب : (فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد) للشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب – رحم الله الجميع - , وهناك شروح أخرى غيرها .

قوله : [بسم الله الرحمن الرحيم]

ابتدأ المؤلف بالبسملة اقتداءً بالكتاب العزيز ، واقتداءً بالنبي ﷺ في كتبه ومراسلاته حيث كان يفتتحها بالبسملة .

وأما حديث : (كل أمرٍ ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع) فقد رواه الخطيب في تاريخه ، والرهاوي في أربعينه وهو حديث ضعيف جداً .

قوله : [كتاب التوحيد]

التوحيد لغة : مصدر وحَّد الشيء يوحده توحيداً أي جعله واحداً .

وفي الشرع : هو إفراد الله بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات .

وينقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : توحيد الربوبية : وهو إفراد الله بأفعاله من خلق ورزق وإحياء وإماتة , وهذا النوع من التوحيد كان كفار قريش مقرين به غير منكرين له كما قال تعالى عنهم : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾ وقال تعالى : ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله ﴾ ومع إقرارهم بهذا النوع فقد قاتلهم النبي ﷺ واستباح دماءهم وأموالهم وذلك لإنكارهم توحيد الألوهية .

القسم الثاني : توحيد الألوهية ؛ وهو إفراد الله بالعبادة , وهذا القسم هو الذي بعث الله الأنبياء لتقريره فما من نبي إلا يقول لقومه : ﴿ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ .

وهو الذي وقعت بسببه الخصومة بين الأنبياء وبين أممهم كما تعالى : ﴿ أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب ﴾ .

القسم الثالث : توحيد الأسماء والصفات وهو إفراد الله ﷻ بما له من الأسماء والصفات قال تعالى : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ وقال تعالى : ﴿ وله المثل الأعلى في السموات والأرض ﴾ فنثبت ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ وننفي عنه ما نفاه – سبحانه – عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل .

==

قوله : [باب قوله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾]
هذا الباب عقده المؤلف رحمه الله تعالى لبيان وجوب التوحيد ، وأنه حق الله على العبيد ، وذكر أدلة من الكتاب والسنة على ذلك , ثم ذكر جملة من الآيات وجه الدلالة منها أن الله يأمر بإفراده سبحانه بالعبادة والرزق والخلق وينهى عن الشرك كبيره وصغيره .
قول ابن مسعود ￼ : (من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ￼التي عليها خاتم فليقرأ ...)
هذا الأثر رواه الترمذي وحسنه ولفظه عند الترمذي . ومعناه : من سَّره أن ينظر إلى الصحيفة التي كأنها كتبت وخُتم عليها فلم تُغيَّر ولم تُبدَّل فليقرأ قوله تعالى : ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ... ﴾ الآية .
فقد شبهها بالكتاب الذي كتب ثم خُتم فلم يزد فيه ولم ينقص وليست هي صحيفة ولا وصية حقيقية بمعنى : أن النبي ￼ كتبها في ورقة وختم عليها بخاتمه لأن النبي ￼ قال : (وإني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله) رواه مسلم .
وهذا الأثر عن ابن مسعود ￼ فيه : عظم شأن هذه الآيات الثلاث عند السلف .
ووجه الدلالة فيه : أنه دل على تحريم الشرك ووجوب التوحيد .
حديث معاذ بن جبل **:** ￼

قوله : [(كنت رديف النبي ￼ على حمار)]
رديف : فيه تواضع النبي ￼ في ركوبه الحمار وهو سيد البشر وفيه فضلية معاذ . ￼
قوله : [(فقال لي : يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد ؟ وحق العباد على الله ؟)]
أتى النبي ￼ هنا بصيغة السؤال ليكون أوقع في النفس ، وأبلغ في فهم المتعلم .
قوله : [(قلت : الله ورسوله أعلم)]

فيه حسن الأدب من المتعلم .
فالمسائل الشرعية علمها يفوض إلى الله ورسوله فيقال : الله ورسوله أعلم .
وأما المسائل الكونية التي لم يثبت علم النبي ￼ بها : فلا يجوز أن نقول : " الله ورسوله أعلم " بل نقول : " الله أعلم"
وذلك لأن النبي ￼ لا يعلم الغيب وعلمه محصور بما علمه الله تعالى
وكذلك الأمور الشرعية الأولى أن يقال فيها بعد وفاة النبي ￼ الله أعلم كما ثبت ذلك عن عمر بن الخطاب ￼ في صحيح البخاري أنه أمر بذلك .

قوله : [(قال : حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً)]
فالحق الواجب لله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً , وهذا هو الشاهد من هذا الحديث .
قوله : [(وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً)]
فمن عَبَد الله تعالى وحده ولم يشرك به شيئاً فحقه على الله تعالى ألا يعذبه أي ألا يعذبه عذاباً أبدياً سرمدياً
أما أن يُعذب عذاباً مؤقتاً لكبيرة اقترفها ولم يتب منها فهذا جائز لكنه لا يُعذب عذاباً دائماً وإنما يخرج من النار بالشفاعة لأن الأدلة الشرعية قد دلت على أن أصحاب الكبائر لا يخلدون في النار بل لا يخلد في النار إلا المشركون .
فإن قيل : هل يمكن أن يكون على الله حق ؟
فالجواب : نعم يكون على الله تعالى حق لكنه حق إكرام وتفضل منه جل وعلا كما في هذا الحديث ، وكما في قوله تعالى : ﴿ كتب ربكم على نفسه الرحمة ﴾ وقوله : ﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾ وغيرها من الآيات .
لكنه سبحانه هو الذي كتب على نفسه الرحمة وأوجب على نفسه الحق تفضلاً منه ورحمة ولم يوجبه أحد على الله تعالى وتقدس ربنا .

قوله : [(قلت : يا رسول الله أفلا أبشر الناس)]
في هذا حرص الصحابة على البشارة بأمور الخير وفيه استحباب بشارة المسلم بما يسره من أمور الدين والدنيا.

قوله : [(قال : لا تبشرهم فيتكلوا)]
فقد نهى النبي معاذاً عن البشارة بذلك وعلل ذلك بقوله) : فيتكلوا) أي يعتمدوا على ذلك فيتركوا التنافس في الأعمال , فقد يترك الجاهل الواجبات ويفعل المعاصي اتكالاً على سعة رحمة الله تعالى .
فإن قيل : لم أخبر بها معاذ ؟
فالجواب : أنه في رواية لهذا الحديث : (فأخبر بها معاذ عند موته تأثماً) أي خشية الوقوع في الإثم فقد أخبر بها معاذ عند موته خشية أن يأثم بكتمه لهذا العلم .
وفي هذا الحديث جواز كتمان العلم للمصلحة ، وفيه أيضاً جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض .
ووجه الدلالة من هذا الحديث : أن فيه أنه حق لله تعالى على العباد أن يعبدوه وحده ولا يشركوا به شيئاً , وهو التوحيد , فعلى ذلك حق الله على العباد هو التوحيد , وهذا يدل على وجوبه.

باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

لما بين المؤلف رحمه الله وجوب التوحيد ذكر هنا فضل التوحيد , وأن له فضلاً عظيماً على أهله , ومن أعظم فضله أنه به تكفر الذنوب . و " ما " مصدرية فتأول وما بعدها بمصدر ، فيكون المعنى : وتكفيره للذنوب.
قوله : [وقوله تعالى : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾]
﴿لم يلبسوا ﴾ : أي لم يخلطوا ولم يشوبوا .
وقد ثبت في المسند وصحيح البخاري عن ابن مسعود قال : (لما نزل قول الله تعالى : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ﴾ شق ذلك على المسلمين فقالوا : يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه ، فقال النبي : (ليس ذلك ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه : ﴿ يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ﴾) .
فقد أشكل على الصحابة المراد بالظلم ، فظنوا أن من ظلم نفسه أيَّ ظلم كان لم يكن آمناً ولا مهتدياً فبيَّن لهم النبي أن الظلم الرافع للأمن والهداية على الإطلاق هو الشرك .
فلا يحصل الأمن والاهتداء إلا لمن يلبس إيمانه بهذا الظلم وهو الشرك ،وهذا لا ينفي أن يؤاخذ أحدهم بظلمه لنفسه بذنب إذا لم يتب كما قال تعالى : ﴿ ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ فإن من ظلم نفسه دون الشرك نقص من أمنه واهتدائه بحسب ذلك الذنب لكن يثبت له مطلق الأمن والاهتداء فمصيره إلى دخول الجنة .
﴿أولئك لهم الأمن ﴾ في الدنيا والآخرة فيأمنون من عذاب الله تعالى ومن الخلود في ناره، لكن من كان مرتكباً لكبيرة ولم يتب منها ، أو غير ذلك من ظلم النفس فإنه آمن أمناً غير تام ، فهو آمن من الخلود في النار لكنه غير آمن من العذاب بل هو تحت مشيئة الله ﴿ : إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ .
﴿وهم مهتدون ﴾ : في الدنيا والآخرة ففي الدنيا مهتدون إلى شرع الله بالعلم والعمل فيعبدون الله على بصيرة سالمين من الشرك والبدع والخرافات وفي الآخرة مهتدون إلى الجنة .
ففي هذه الآية فضيلة من فضائل التوحيد ، وأنه سبب لحصول الأمن والاهتداء .
قوله : [وعن عبادة بن الصامت عن النبي قال : (من شهد أن لا إله إلا الله ... ما كان من العمل)]
الحديث متفق عليه .
(من شهد) : أي أقر وأعترف .
(أن لا إله إلا الله) : أي تكلم بهذه الكلمة عارفاً لمعناها عاملاً بمقتضاها ظاهراً وباطناً .
فلابد في الشهادتين من العلم واليقين والعمل بمدلولهما قال تعالى : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ .
ومعنى (لا إله إلا الله) : أي لا معبود بحق إلا الله .
(وأن محمداً عبده ورسوله) : أي يقر ويعترف بأن محمداً عبد الله ورسوله ، وقد أتى بهاتين الصفتين دفعاً للإفراط والتفريط فهو عبدٌ فلا يُغلى فيه فيعطى شيئاً من صفات الربوبية والألوهية ، وهو رسول فلا يُجْحف في حقه فيقال هو ساحر أو كاهن أو كاذب أو مجنون .

(وأن عيسى عبد الله ورسوله) : أي وشهد أن عيسى عبد الله ورسوله فلم يرفعه عن منزلته التي أعطاها الله تعالى إلى الربوبية كما يعتقده النصارى الضلاَّل من أنه ثالث ثلاثة أو أنه ابن الله ، ولم يُجحْف في حقه ⍰ فيصفه بما لا يليق به ⍰ من القبائح كما يقول اليهود – لعنهم الله – فيه من أنه ولد بغي ، فلا يُغلى في حقه ⍰ ولا يُجحْف فقد أتى بهاتين الصفتين دفعاً للإفراط والتفريط , وفي ذلك رد على اليهود والنصارى .
(وكلمته) : وإنما سمي عيسى كلمة لوجوده بكلمة " كن " من غير " أب ".
(ألقاها إلى مريم) : فقد أرسل الله تعالى جبريل عليه السلام بهذه الكلمة إلى مريم فنفخ فيها من روحه بأمر ربه ⍰ فكان عيسى بإذن الله تعالى .
(و روح منه) : من " هنا " ابتدائية وليست تبعيضية أي روح مخلوقة مبتدأة من الله ⍰ فالمعنى : أنه كان منه كما في قوله تعالى : ﴿ وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه ﴾ فلا يمكن أن يقال : إن الشمس والقمر والأنهار جزء من الله ⍰ وهذا لم يقل به أحد , وكما تقول : " الرزق من الله تعالى " أي هو الذي هيأه وخلقه .
(والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل) : أي أدخله الله الجنة على ما كان فيه من صلاح أو فساد وما كان عنده من تقصير , يعني أن مآله إلى دخول الجنة وقد لا يسبق بعذاب ، وقد يسبق بعذاب لكن مآله إلى الجنة .
فهذا الحديث فيه فضيلة من فضائل التوحيد وأنه سبب لدخول الجنة .
قوله : [ولهما من حديث عتبان (فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)]
(لهما) : أي للبخاري ومسلم رحمهما الله تعالى .
وفيه أنه يشترط الإخلاص في قول – لا إله إلا الله – لقوله : (يبتغي بذلك وجه الله) .
وهذا التحريم إما تحريم خلود وإما تحريم دخول .
وهذا الحديث فيه فضيلة من فضائل التوحيد وأنه سبب لتحريم على نار جهنم .
قوله : [وعن أبي سعيد الخدري ⍰ عن رسول الله ⍰ قال : (قال موسى عليه السلام يا رب ...لا إله إلا الله) رواه ابن حبان والحاكم في صحيحه]
وهذا الحديث رواه ابن حبان والحاكم وهو من رواية درَّاج عن أبي الهيثم وروايته عنه ضعيفة .
لكن ثبت في المسند عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ⍰ قال : (إن نبي الله نوحاً عليه السلام لما حضرته الوفاة قال لابنه – الحديث وفيه - : آمرك بلا إله إلا الله فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ، ووضعت لا إله إلا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله) وإسناده صحيح
وهذا الحديث فيه فضيلة لا إله إلا الله وهي كلمة التوحيد وأنه حسنة لا يوازيها شيء .
فمن قال : " لا إله إلا الله " بإخلاص ويقين وعمل بمقتضاها ولوازمها وحقوقها واستقام على ذلك فهذه الحسنة لا يوازيها شيء .
قوله : [وللترمذي وحسنه عن أنس ⍰ قال : سمعت رسول الله ⍰ قال : (قال الله تعالى ... بقرابها مغفرة)]
وهو حسن كما قال الترمذي ، وهو حديث قدسي .
(بقراب الأرض) : أي ملؤها أو يقارب ملئها .
(ثم لقيتني) : أي يوم القيامة .
(لا تشرك بي شيئاً) : " شيئاً " نكرة في سياق النفي تفيد العموم ؛ أي لا شركاً أصغر ولا أكبر .
فهذا هو الشرط في حصول المغفرة ، ولا يسلم من ذلك إلا من سلَّمه الله تعالى وذلك هو القلب السليم كما قال تعالى : ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ .
وفي هذا الحديث كثرة ثواب التوحيد ، فإن من أتى الله غير مشرك فإن الله يقابله بالمغفرة وإن أتى بقراب الأرض ذنوباً وخطايا .
ففيه فضيلة من فضائل التوحيد وأنه مكفر للذنوب والسيئات .

باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

هذا الباب أرفع رتبة من الباب الذي قبله ؛ فإن فضل التوحيد يشترك فيه أهله , لكنهم يتفاوتون في ذلك الفضل فإن خاصة هذه الأمة الذين حققوا التوحيد يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب .

وتحقيق التوحيد : هو تخليصه وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصي .

وعلى ذلك فتحقيق التوحيد يرجع إلى ثلاثة أشياء :

1 – ترك الشرك بأنواعه الأكبر والأصغر . 2- ترك البدع بأنواعها .
3 – ترك المعاصي بأنواعها .

قوله : [وقول الله تعالى : ﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين﴾]

وُصف إبراهيم عليه السلام بهذه الصفات التي هي الغاية في تحقيق التوحيد .

1- الأولى : أنه كان أمة يعني : إماماً وقدوةً ومعلماً للخير وهو واحد لئلا يستوحش من قلة السالكين .

2- الثانية : قوله ﴿ قانتاً ﴾ القنوت هو دوام الطاعة .

3- الثالثة : أنه كان حنيفاً : أي منحرفاً عن الشرك إلى التوحيد ، مقبلاً على الله معرضاً عن كل ما سواه .

4- الرابعة : أنه فارق المشركين بالقلب واللسان والبدن وأنكر ما كانوا عليه من الشرك ,وفي ذلك حث من الله تعالى لعباده على الاتصاف بهذه الصفات ومن ذلك كونه لم يك من المشركين .

قوله : [وقوله : ﴿ والذين هم بربهم لا يشركون ﴾]

وصف الله ￼ المؤمنين السابقين إلى الجنة ، فأثنى عليهم بصفات حميدة ومنها : ﴿ والذين هم بربهم لا يشركون ﴾ فقد أثنى عليهم بسلامتهم من الشرك .

قوله : [عن حصين بن عبد الرحمن قال : كنت عند سعيد بن جبير فقال : (أيكم رأى الكوكب ... فقال : سبقك بها عكاشة)]

(حصين بن عبد الرحمن وسعيد بن جبير) : هما من التابعين .

(انقض) : أي سقط .

(البارحة) : قال بعض أهل اللغة : يقال قبل الزوال : رأيت الليلة ، وبعد الزوال : رأيت البارحة .

(أما إني لم أكن في صلاة) : القائل هنا هو حصين ، فقد خاف أن يظن الحاضرون أنه كان قائماً من الليل يصلي فيحمد بما لم يفعل .

(ولكن لُدغت) : أي لدغته عقرب ونحوها من ذوات السموم .

(قلت : ارتقيت) : ولفظ مسلم : " استرقيت " أي طلبت من يرقيني .

(قال : فما حملك على ذلك) : فيه طلب الحجة على صحة المذهب .

) لا رقية إلا من عين أو حمة) : وهو هنا من قول بريدة بن الحصيب موقوفاً عليه أي من قوله .

وقد ثبت في سنن الترمذي بإسناد صحيح من حديث عمران بن حصين ￼ أن النبي ￼ قال : (لا رقية إلا من عين أوحمة) .

والعين : معروفة ، وقوله : (حُمه) : بضم الحاء وتخفيف الميم : سم العقرب وما شابهها .

ومعنى الحديث : لا رقية أشفى وأولى من رقية العين والحمة .

وهذا لا يمنع من جواز الرقية من غيرها من الأمراض ؛ لأنه أمر بالرقية مطلقاً وقد رقى النبي ￼ ورُقي .

)قد أحسن من انتهى إلى ما سمع) : أي من أخذ بما بلغه من العلم وعمل به فقد أحسن بخلاف من يعمل بجهل ، أو لا يعمل بما يعلم فإنه مسيء آثم .

) ومعه الرهط) : الجماعة دون العشرة أي من ثلاثة إلى تسعة .

(والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد) : فيه الرد على من احتج بالكثرة .

)إذ رفع لي سواد عظيم) : السواد هو الشخص الذي يُرى من بعيد أي رفع لي أشخاص كثيرون من بُعْد لا أدري مَنْ هم .
)فظننت أنهم أمتي) : وذلك لكثرتهم .
)فقيل لي : هذا موسى وقومه) : وهذا فيه فضيلة أتباع موسى عليه السلام على دينه وأنهم كثيرون جداً .

)ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب) : وذلك لتحقيقهم التوحيد ، وفيه فضيلة هذه الأمة فإنهم أكثر الأمم تابعاً لنبيهم , وفي المسند بسند جيد : (فاستزدت ربي فزادني مع كل ألف سبعين ألفاً) .
) وقال بعضهم : فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً) وهذا فيه عظيم التوحيد ومنزلته عند الصحابة رضوان الله عليهم .
)فقال : هم الذين لا يسترقون) : أي لا يطلبون الرقية .
)ولا يتطيرون) : أي لا يتشاءمون بالطير ونحوها وسيأتي الكلام عليه في بابه إن شاء الله .
)ولا يكتوون) : المراد به التداوي بالكي .
)وعلى ربهم يتوكلون) : ذكر الأصل الجامع الذي تفرعت عنه هذه الخصال وهو التوكل على الله ، وصدق الالتجاء إليه والاعتماد بالقلب عليه الذي هو نهاية تحقيق التوحيد .
مسألة : ما حكم الاسترقاء والاكتواء والتطير ؟
أما التطير فهو محرم وسيأتي الكلام عليه في بابه إن شاء الله .
وأما الاسترقاء والاكتواء ففي هذا الحديث ما يدل على أن تركه أفضل وفي صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: (الشفاء في ثلاثة : شربة عسل وشرطة محجم وكيَّة نار وأنا أنهى أمتي عن الكي) وفي لفظ : (وما أحب أن اكتوي) و ثبت في الصحيحين أن النبي) : ﷺأمر أن يسترقى من العين) وقد ثبت أن النبي ﷺ رقاه جبريل كما في مسلم وثبت في الترمذي : أن النبي) : ﷺكوى أسعد بن زرارة من الشوكة) وهي حمرة تعلو الوجه والجسد .
لذا اختلف أهل العلم في حكمهما .
1- فقال بعض أهل العلم : إن الكي والاسترقاء مكروهان مطلقاً استدلالاً بحديث الباب وحديث : (وأنا أنهى أمتي عن الكي) .
2- وقال بعض العلماء : بل إنما يكره الكي إذا كان من الإنسان الصحيح لئلا يعتل فيكون من باب الوقاية وهذا مشهور عند العرب في الجاهلية ، وكذلك إذا لجأ إلى الكي وهناك علاجات لذلك المرض غيره.
وإنما يكره الاسترقاء إذا كان مضعفاً للتوكل ، بأن يكون قد اعتمد على هذا الراقي وتعلق بالسبب .
أما إذا لم يكن الأمر كذلك فلا كراهية في الاكتواء والاسترقاء للأحاديث المتقدمة ، ولأن هذا من باب التداوي الذي أمر به الشارع في قوله) : ﷺنعم يا عباد الله تداووا) .
وهذا هو الأظهر من القولين .
) فقام عكاشة بن محصن ﷺ فقال : ادع الله أن أكون منهم) : أي أن يجعله من السبعين ألفاً .
قوله : [أنت منهم] .
وفي رواية للبخاري : (اللهم اجعله منهم) .
)ثم قام رجل آخر ... فقال سبقك بها عكاشة) : قيل : إنه منافق وهذا ضعيف ؛ لأن هذا السؤال يبعد أن يصدر من منافق ولأن الأصل في الصحابة لاسيما الذين يحضرون مجلس النبي ﷺ عدم النفاق , وإنما قال النبي ﷺ ذلك قطعاً للتسلسل ، حتى لا يقوم آخر وثالث ورابع فيسأل النبي ﷺ ذلك .
والشاهد من الحديث أن من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب .

باب الخوف من الشرك

لما ذكر المؤلف رحمه الله تعالى : وجوب التوحيد ، وفضله ، وتحقيقه ، ناسب أن يذكر الخوف من ضده ، وهو الشرك ليحذره المؤمن ويخافه على نفسه , وهذا من تحقيق التوحيد , فالموحد يجب عليه أن يخاف من الشرك , ولا يقول : أنا موحد وأنا عرفت التوحيد ولا خطر عليَّ من الشرك ؛ لأنه لا أحد يأمن على نفسه الفتنة مادام على قيد الحياة , بل يحذر المؤمن من زوال هذه النعمة العظيمة ، وقد كان النبي ﷺ يكثر من قول : " يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك " وهو أعظم المحققين للتوحيد .
والخوف من الشرك : هو فزع القلب وهلعه منه , وهذا يثمر السعي في البعد عنه وذلك بتعلم التوحيد والتفتيش عن الشرك ووسائله وذرائعه ليسلم من الوقوع فيه .
والمراد من الشرك هنا ، الشرك بنوعيه الأصغر والأكبر , فلابد أن يتعلم التوحيد ويتعلم الشرك بأنواعه حتى لا يقع فيه .
وقد قال بعض السلف : " ما جاهدت نفسي على شيء مجاهدتها على الإخلاص " .
قوله : [وقول الله تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾]
وهذه الآية تعم الشرك الأكبر والأصغر كالحلف بغير الله ونسبة النعم لغير الله تعالى وهو اختيار جمع من المحققين فتبين بهذه الآية أن الشرك أعظم الذنوب ، لأن الله تعالى أخبر أنه لا يغفره لمن لم يتب قال تعالى : ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾ , وما دونه من الذنوب فهو داخل تحت المشيئة ، إن شاء غفره لمن لقيه به ، وإن شاء عذبه به .وإذا كان الشرك بأنواعه لا يغفر فهذا يوجب الخوف منه أعظم الخوف .
وهل يدخل في ذلك الشرك الأصغر ، كالحلف بغير الله ، ويسير الرياء ونحوه أم لا ؟
بمعنى إذا وقع من الإنسان الرياء فهل نقول : إنه لا بد أن يعذب عليه ، ولا يمكن أن يغفره الله - ، وإن كان لا يخلد في النار – أم نقول : هو – أي الشرك الأصغر – تحت المشيئة كسائر الذنوب ؟
اختلف أهل العلم في ذلك , وعلى كل حال; فيجب الحذر من الشرك مطلقا; لأن العموم يحتمل أن يكون داخلا فيه الأصغر , ولا شك أن الخلاف في هذه المسألة يجعل المسلم يخاف حتى من الشرك الأصغر .
قوله : [وقال الخليل عليه السلام : ﴿ واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ﴾]
والشاهد من هذه الآية : أن إبراهيم عليه السلام وهو إمام الحنفاء وهو الذي كسر الأصنام بيده وتعرض لأشد الأذى في سبيل ذلك حتى ألقي في النار ومع ذلك خاف على نفسه من الوقوع في الشرك ؛ لأن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن , والحي لا تؤمن عليه الفتنة لذا قال إبراهيم التيمي : " ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم " ا . هـ .
قوله : [وفي الحديث : " أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر فسئل عنه فقال الرياء "]
الحديث رواه الإمام أحمد وغيره بإسناد جيد.
والرياء : هو أن يعمل العمل ليراه الناس لا لله ؛ كأن يحسن صلاته لما يراه من نظر رجل ، أو يحسن تلاوته ليمدح الناس تلاوته .
والشاهد من هذا الحديث : أنه لما كان الشرك الأصغر مخوفا على أصحاب الرسول ﷺ مع كمال علمهم وقوة إيمانهم فكيف لا يخافه – أي الشرك الأصغر – على من هو دونهم في العلم والإيمان بمراتب , فدل ذلك على وجوب الخوف منه .
قوله : [وعن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (من مات وهو يدعو لله ندا دخل النار) رواه البخاري]
" الند " : هو الشبيه والمثيل معنى الحديث : أن من مات وقد جعل لله مثيلا وشبيها في العبادة يدعوه ويسأله ويستغيث به دخل النار, والشاهد من هذا الحديث : أن فيه عظيم خطر الشرك ، وأنه إذا دعا من دون الله نداً أياً كان هذا الداعي

فإنه يدخل النار وقد قال تعالى : ﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾ ، وهذا يوجب الخوف الشديد من الشرك .

قوله : [ولمسلم عن جابر ﷺ : أن رسول الله ﷺ قال : (من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار)] :

وقوله : " دخل الجنة " : هذا فيه فضيلة السلامة من الشرك ." ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار " : وهذا يوجب الخوف من الشرك .

والشاهد من هذا الحديث : عظمة خطر الشرك ، وأنه سبب لدخول النار والخلود فيها ، فكان ذلك موجبا للخوف منها . لأن العاقل يريد السلامة من النار . نسأل الله تعالى السلامة من موجبات سخطه وأليم عقابه .

باب الدعاء إلى شهادة ألا إله إلا الله

لما ذكر المؤلف رحمه الله وجوب التوحيد وفضله وتحقيقه ، وما يوجب الخوف من ضده نبه بهذه الترجمة على أنه لا ينبغي لمن عرف ذلك أن يقتصر على نفسه ، بل عليه أن يدعو غيره إلى ذلك ، فمن تمام التوحيد ومن تمام الخوف من الشرك : أن يدعو الإنسان غيره إلى شهادة " ألا إله إلا الله " أي إلى التوحيد .

قوله : [وقول الله تعالى : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾] :

﴿ سبيلي ﴾: أي طريقتي ودعوتي .

﴿ أدعو إلى الله ﴾: تعالى وحده لا شريك له ، لا أدعو إلى النفس ، أو العصبية أو الجماعة أوغيرها, ففيه الإخلاص في الدعوة , وفيه أيضاً : أنها دعوة إلى توحيد الله تعالى .

﴿ على بصيرة ﴾: أي على علم ويقين . فقد تضمنت هذه الدعوة : الإخلاص والعلم لأن أكثر ما يفسد الدعوة عدم الإخلاص ، وعدم العلم .

﴿ أنا ومن اتبعني ﴾: أي فهو ﷺ يدعو على بصيرة ، وأتباعه كذلك يدعون إلى الله على بصيرة .

قوله : [وعن ابن عباس ﷺ : " أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذا إلى اليمن قال : إنك ... حجاب " أخرجاه]

كان بعث النبي ﷺ لمعاذ سنة عشر قبل حجة الوداع كما ذكر ذلك البخاري – رحمه الله - .

(إنك تأتي قوما أهل كتاب) : أي من اليهود والنصارى .

وهذا فيه ما ينبغي أن يكون عليه الداعية من التعرف على حال المدعوين ، وذلك ليتهيأ لمناظرتهم بالأدلة والبراهين.

(فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله – وفي رواية : إلى أن يوحدوا الله

وفيه أن أول واجب على المكلف هو التوحيد وهو أول ما يدعى إليه من الدين .

(فأن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم ... فإياك وكرائم أموالهم) : ثنى بالأعمال بعد التوحيد الصلاة لأنها لا تصح بدونه ، فهو شرط لصحة جميع الأعمال .

وفيه التنبيه على التدرج في التعليم ، والبداءة بالأهم فالأهم .

(وكرائم أموالهم) فالعامل لا يأخذ الكرائم ولا الرديء ، بل يأخذ الوسط .

(واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب) : أي احترز واجتنب دعوة المظلوم فإن دعوته لا تحجب عن الله ، بل يقبلها سبحانه وتعالى وفي المسند بإسناد حسن عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : (دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه) .

==

ومناسبة هذا الحديث للباب : هو أن أول واجب تجب الدعوة إليه هو التوحيد وهو شهادة أن لا إله إلا الله .

قوله : [ولهما عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : (لأعطين الراية غدا رجلاً .... حمر النعم)
يدوكون : أي يخوضون] :
(يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله) : فيه إثبات صفة المحبة خلافاً للجهمية ومن أخذ عنهم . وفيه فضيلة علي ﷺ .
(يفتح الله على يديه) : هذا صريح في البشارة بحصول الفتح ، فهو علم من أعلام النبوة أي دليل من أدلتها .
(فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها) فيه حرص الصحابة على الخير واهتمامهم به ، وعلو مرتبتهم في العلم والإيمان ، فعلى ذلك ينبغي التنافس في الخير وعلو الهمة في طلبه .
(فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ ، كلهم يرجو أن يعطاها) : حرصاً عليه لكونه محبوبا عند الله ، وتفتح هذه البلدة على يديه . وفي رواية لمسلم عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال : " ما أحببت الإمارة إلا يومئذ " .
(فأعطاه الراية) : وهذا فيه الإيمان بالقدر لحصولها لمن لم يسع لها ، ومنعها عمن سعى .
(انفذ على رسلك) : أي امض على مهلك من غير عجلة .
(حتى تنزل بساحتهم) : أي بفناء أرضهم .
(ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه) : هذا هو موضع الشاهد من الحديث ,والدعوة إلى الإسلام هي الدعوة إلى التوحيد لأن أعظم أركان الإسلام شهادة أن لا إله الله وأن محمدا رسول الله .
وضم إليها رسول الله ﷺ أن يدعوهم إلى حق الله فيه ؛ أي إلى ما يجب عليهم من حق الله في الإسلام , من جهة التوحيد ، ومن جهة فعل الواجبات ، واجتناب المحرمات .
(فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم) : أي هداية رجل واحد خير لك من الإبل الحمر.
(حمر النعم) : بضم الحاء وسكون الميم هي الإبل الحمر ، وهي أنفس أموال العرب .
وتشبيه أمور الآخرة بأمور الدنيا إنما هو للتقريب إلى الأفهام ، وإلا فذرة من الآخرة خير من الأرض بأسرها وأمثالها معها .
وفي هذا فضيلة من اهتدى على يديه رجل واحد .
وفيه - أيضا - جواز الحلف على الخبر والفتيا ولو لم يستحلف .
ومناسبة هذا الحديث للباب : أن فيه أن أول ما يدعى إليه هو التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله .

باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

لما بين المؤلف رحمه الله وجوب التوحيد وفضله والخوف من ضده والدعوة إليه أراد في هذا الباب بيان معنى التوحيد الذي قد ضلت في فهمه طوائف كثيرة من الطوائف المنتسبة إلى الإسلام , وجعله بعد باب : " الدعاء إلى شهادة ألا إله إلا الله " لأن الذي يدعو إلى شيء لابدَّ أن يبينه ويوضحه , فلا يكفي أن يقول للناس : وحدوا الله تعالى , بل لابد أن يبين لهم معنى التوحيد .
قوله : [وقوله تعالى : ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ﴾ الآية]
" إلى ربهم الوسيلة " : أي القربة بالطاعة والعبادة .
" أيهم أقرب " : أي يتبارون ويتسابقون في طلب القرب من الله – عز وجل - .

قال ابن مسعود - كما في البخاري – : " نزلت هذه الآية في أناس من الإنس كانوا يعبدون ناسا من الجن فأسلم الجن وبقي الإنس على عبادتهم " .
ومناسبة الآية للباب : أنها دلت على أن التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله معناه : ألا يُدعى إلا الله تعالى , وأنه لا تتخذ الوسائط بين الله تعالى وبين خلقه , ويتضمن ترك ما عليه المشركون من دعاء الأنبياء والصالحين ، أي يتضمن البراءة من الشرك بحيث لا يدعو مع الله أحداً لا ملَكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً ولا ولياً صالحاً .

قوله : [وقوله عز وجل : وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني [
وهذا هو معنى كلمة الإخلاص " لا إله إلا الله " .
 وجعلها كلمة باقية في عقبه أي جعل " لا إله إلا الله " باقية في ذرية إبراهيم عليه السلام .
ومناسبة هذه الآية للباب : أنها تفسر " لا إله إلا الله " فإن معناها : ترك عبادة الأصنام , والبراءة منها , وإخلاص العبادة لله , فالتوحيد لا يحصل بعبادة الله مع غيره , بل لابد من إخلاص العبادة له سبحانه .
قوله : [وقوله : اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله الآية]
" أحبارهم " : أي علماءهم ، وذلك في اليهود .
" ورهبانهم " : أي عبادهم ، وذلك في النصارى .
وقد ورد تفسير هذه الآية في المسند وسنن الترمذي : أن النبي تلا هذه الآية على عدي بن حاتم الطائي فقال : لسنا نعبدهم فقال : (أليس يحلون لكم ما حرم الله فتحلونه ، ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه) قال : بلى . قال النبي :)فتلك عبادتهم. (
فدلت هذه الآية على أن من أطاع غير الله في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحله الله فقد اتخذه ربا ومعبودا وجعله لله شريكا ، وذلك ينافي التوحيد .
ووجه المناسبة للباب : أنها دلت على أن التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله يقتضي إفراد الله بالطاعة , وألا يطاع إلا الله تعالى في الحلال والحرام , فالتشريع حق لله تعالى لا يجوز أن يطاع فيه أحد من المخلوقين غير الرسل .
قوله : [وقوله : ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله الآية]
" أندادا " : جمع ند وهو الشبيه والمثيل .
" يحبونهم كحب الله " : أي يسوونهم مع الله في المحبة .
ووجه مناسبة هذه الآية للباب : أن من تفسير التوحيد شهادة ألا إله إلا الله : إفراد الله تعالى بالمحبة , وألا يُحب معه غيره محبة عبادة بل يفرد الله جل وعلا بالمحبة .
قوله : [وفي الصحيح عن النبي أنه قال : (من قال : لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل)] :
هذا الحديث رواه مسلم في صحيحه .
وفي هذا الحديث علق النبي عصمة المال والدم بأمرين :
الأول : قول لا إله إلا الله عن علم ويقين . كما قيدت في غير ما حديث .
الثاني : الكفر بما يعبد من دون الله ، فلم يكتف باللفظ المجرد عن المعنى بل لابد من قولها والعمل بها .
وفيه معنى قوله تعالى : فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى.
فيجب على العبد أن يعتقد كفر من أشرك بالله وعبد معه غيره من أهل الكتاب وغيرهم ' فعلى ذلك من شك في كفر النصارى أو اليهود أو لم يكفرهم او صحح مذهبهم كفر إجماعاً .
" وحسابه على الله عز وجل " : أي الله سبحانه هو الذي يتولى حسابه وهو المطلع على السرائر ؛ فإن كان صادقا جازاه جنات النعيم ، وإن كان منافقا عذبه العذاب الأليم .
وأما في الدنيا فالحكم على الظاهر ، فمن أتى بالتوحيد والتزم شرائعه الظاهرة وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك .

ومناسبة هذا الحديث للباب : أن معنى التوحيد وأن لا إله إلا الله لا يتم ولا يكتمل إلا إذا كفر بكل ما يعبد سوى الله عز وجل فهي ليست مجرد لفظ يقال باللسان , وإنما هي حقيقة تقتضي الكفر بما يعبد من دون الله والبراءة من المشركين ولو كانوا أقرب قريب .

باب من الشرك لُبس الحَلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه "

ورفع البلاء : إزالته بعد نزوله .
دفع البلاء : منعه قبل نزوله .
لما ذكر المؤلف رحمه الله تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله ناسب أن يذكر بعده أشياء مما يضاد ذلك من أنواع الشرك الأكبر والأصغر فإن الضد لا يعرف إلا بضده كما قيل : وبضدها تتبين الأشياء .
فمن لم يعرف الشرك لم يعرف التوحيد وبالعكس .
(من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما) : أي مما يعلق على البدن أو على الدابة أو السيارة أو الأبواب من الأشياء التي يعتقد أنها تدفع عين الحاسد أو تحرس البدن أو تحرس السيارة أو البيت , وهذا من الشرك ؛ لأنه تعلق بغير الله تعالى والقاعدة المهمة في هذا الباب : إن كان يعتقد أن ذلك الشيء ينفع أو يضر بذاته فهذا شرك أكبر وأما إن كان يعتقد أنه سبب فهذا شرك أصغر.
ومن تعلق قلبه بالله ووحد الله تعالى فإنه لا يضره شيء إلا بإذن الله عز وجل .
أما من تعلق قلبه بغير الله فإن الله يكله إلى ما تعلق به فيخسر ويضل عياذا بالله .
قوله : [وقول الله تعالى : ﴿ قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره ﴾]
ومناسبة الآية للباب :أن فيها إبطال تعلق القلب بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر ، وأن ذلك شرك بالله عز وجل .
قوله : [وعن عمران بن حصين ﷺ : أن النبي ﷺ : " رأى رجلا في يده حلقة من صفر000000 " رواه أحمد بسند لا بأس به] :
(من الواهنة) : هي مرض يصيب العضد ، " من " للسببية أي لبستها : بسبب الواهنة .
(فإنها لا تزيدك إلا وهناً) : أي لا تزيدك إلا ضعفا ، فبين أنها لا تنفعه بل تضره ، معاملة له بنقيض قصده لأنه علق قلبه بما لا ينفعه ولا يدفع عنه .
ومناسبة الحديث للباب : أنه دل على إنكار لبس الحلقة لدفع الضرر لأن جلب النفع ودفع الضرر من الأفعال الخاصة بالله ، وطلبها من غير الله شرك به .
قوله : [وله عن عقبة بن عامر مرفوعا : " من تعلق تميمة فلا أتم الله له ومن تعلق وَدْعة فلا ودع الله له "]
" وله " أي للإمام أحمد وهو حديث حسن.
(من تعلق تميمة) : التميمة شيء يعلق على الأولاد يتقون به العين ، هذا في الأصل ، ثم أطلقت على ما هو أعم من ذلك ، فكل ما يعلق سواء على صبي أو حيوان أو بيت ونحو ذلك اتقاء للعين أو الجن أو السحر ونحوها من الأمراض فإنه يسمى تميمة .
(فلا أتم الله له) : أي لا أتم الله له قصده , وهذا دعاء عليه بنقيض قصده .
(وممن تعلق وَدْعة) : بفتح الواو وسكون الدال – وهو شيء يخرج من البحر يشبه الصدف يتقون به العين
(فلا ودع الله له) : بتخفيف الدال أي لا جعله الله في دعة وسكون ، وهذا أيضا دعاء عليه بنقيض قصده .
فدعاء النبي ﷺ عليه دل على أن ذلك فعل محرم ، وقد بينت الرواية التي بعده أنه من الشركيات .

قوله : [وفي رواية : (من تعلق تميمة فقد أشرك)]
هذه الرواية إسنادها جيد ، وقد رواها أحمد والحاكم .
ففي هذه الحديث أن من تعلق تميمة فقد أشرك .
وهل هو شرك أصغر أو أكبر ؟
فيه تفصيل :
فإن علقها وهو يعتقد أنها تنفع وتضر بذاتها فهو مشرك شركاً أكبر ، وإن علقها وهو يعتقد أنها لا تنفع ولا تضر بذاتها بل علقها على أنها سبب من الأسباب التي يدفع الله بها البلاء فهو مشرك شركاً أصغر ، لأنه جعل ذلك سبباً وهو ليس بسبب كوناً ولا شرعاً .
ثم هو ذريعة إلى الشرك الأكبر ، فقد يؤدي ذلك إلى اعتقاد أنها تنفع وتضر من دون الله عز وجل .
<u>مناسبة الحديث للباب</u> : أنه دل على أن تعليق التميمة شرك وذلك لما فيها من تعلق القلب بغير الله عز وجل .

قوله : [ولابن أبي حاتم عن حذيفة : " أنه رأى رجلا في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله تعالى : ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾]
(خيط من الحمى) : " من " هنا سببية أي لبسه من أجل الحمى .
﴿وما يؤمن أكثرهم بالله﴾ : ربا وخالقا . ﴿إلا وهم مشركون﴾ به إلها ومعبودا .
فهذا الأثر عن حذيفة فيه إنكار هذا الفعل فدل على تحريمه .
وقد ثبت في المسند بسند صحيح : أن عبد الله بن مسعود ﷺ دخل على امرأته وفي يدها خيط من الحمرة فقطعه قطعا شديدا وقال: لقد أصبح آل عبد الله أغنياء عن الشرك ثم قال : إن مما حفظنا عن النبي ﷺ: (إن الرقى والتمائم والتولة شرك) .
فهذا الأثر عن ابن مسعود ﷺ فيه ما في أثر حذيفة ﷺ من قطع التميمة وإنكارها ، وهذا من باب إنكار المنكر ، ولا شك أن الشرك أعظم المنكرات فهو أحق بالإنكار من غيره .
<u>ومناسبة الأثر للباب</u> : أن فعل حذيفة ﷺ هذا دل على أن اتخاذ الخيط لدفع الضرر شرك .

باب ما جاء في الرقى والتمائم

لم يذكر المؤلف رحمه الله الحكم هنا وأنه من الشرك وذلك لأن من الرقى ما ليس شركاً ، ومن التمائم ما ليس متفقاً على تحريمه بل هو مختلف فيه كما سيأتي بيانه .
قوله : [في الصحيح عن أبي بشر الأنصاري رضي الله عنه : " أنه كان مع النبي ﷺ في بعض أسفاره فأرسل رسولاً أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر ، أو قلادة إلا قُطِعَت "]
الحديث رواه البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى .
" أو قلادة " : هنا شك الراوي هل قال شيخه : قلادة من وتر أو قال : قلادة وأطلق ولم يقيد , وهذا من الدقة في رواية الحديث .
وقد كان أهل الجاهلية يعلقون الوتر ونحوه على دوابهم اعتقاداً منهم أنه يدفع عن الدابة العين .
ففي الحديث إنكار من النبي ﷺ للشرك بالله تعالى وما هو ذريعة إلى الشرك به ولا شك أن إنكار الشرك أشد لزوماً من إنكار الصغائر والكبائر .

ومناسبة الحديث للباب : أنه دل على تحريم تعليق القلائد لدفع الضرر وهو نوع من التمائم وقد بينت الأحاديث الأخرى أنه من الشرك كما في حديث : (من تعلَّق تميمة فقد أشرك) لأن دفع الضرر من الأفعال التي يختص بها الله تعالى .

قوله : [وعن ابن مسعود ￼ قال : سمعت رسول الله ￼ يقول : " إن الرقى والتمائم والتولة شرك " رواه أحمد وأبو داود]
حديث صحيح . وهذا الحديث فيه أن الرقى والتمائم والتولة شرك ولم يستثن شيئا .
فإن كان يعتقد أنها تنفع وتضر بذاتها فهو شرك أكبر ، وإن كان يعتقد أن النافع الضار هو الله لكن رأى أنها سبب من الأسباب فهذا شرك أصغر .
فقوله : " إن الرقى والتمائم والتولة " عموم فيدخل فيه كل رقية وكل تميمة وكل تولة لكن خص الدليل من الرقية ما خلا من الشرك فوجب استثناؤه وأما التمائم والتولة فهي باقية على عمومها .
قوله : [وعن عبدالله بن عُكيم مرفوعاً : " من تعلَّق شيئاً وكِل إليه " رواه أحمد والترمذي]
هذا الحديث حسن بشواهده.
وقوله : " شيئاً " نكرة في سياق الشرط فتفيد العموم سواءً كان قلادةً أو خيطاً أو حلقةً أو نحوها .
وفي الحديث : أن من تعلَّق شيئاً فإن الله سبحانه يكلهُ إلى ذلك الشيء الذي تعلقه , وهذه عقوبة من الله تعالى .
فمن تعلَّق بالله تعالى والتجأ إليه وفوض أمره إليه ، كفاه وقرب إليه كل بعيد ويسر عليه كل عسير .
ومن تعلَّق بغير الله أو سكن إلى رأيه وعقله ودوائه وتمائمه ونحو ذلك وكله الله إلى ذلك وخذله وهذا معروف بالنصوص والتجارب ، قال تعالى : ￼ومن يتوكل على الله فهو حسبه . ￼
ومناسبة الحديث للباب : أنه دل على تحريم التعلق بغير الله سبحانه في جلب نفع أو دفع ضر ، وأن الله سبحانه يكِله إلى هذا المتعلَّق به عقوبةً له على ذلك .

قوله : [" والتمائم " شيء يُعلق على الأولاد يتقون به العين ، لكن إذا كان المعلق من القرآن ، فرخص فيه بعض السلف ، وبعضهم لم يرخص فيه ، ويجعله من المنهي عنه ، منهم ابن مسعود رضي الله عنه]
تقدم تعريف التمائم , ولها أشكال كثيرة فمنها ما يعلق على الصدر ومنها ما يربط على البطن , ومنها ما يوضع في السيارات من عقد وخيوط أو صور لدفع العين ونحو ذلك .
لكن الإمام رحمه الله تعالى ذكر هنا : أنه إذا كان المعلَّق من القرآن ومثله إذا كان المعلق من الأذكار الواردة عن النبي ￼ أو الأدعية المباحة فاختلف في السلف رحمهم الله على قولين : أصحهما وأرجحهما دليلاً أن ذلك لا يجوز وهو قول ابن مسعود وابن وعليه فتوى اللجنة الدائمة . واستدلوا بأدلة :
1- عموم النهي لقوله) : ￼إن الرقى والتمائم والتولة شرك) .
2- سداً للذريعة , فإنه يفضي إلى تعليق ما ليس من القرآن ، ثم هو ذريعة إلى دخول أهل الشعوذة والكهانة في التلبيس على الناس .
3- ثم إنه ذريعة إلى امتهان القرآن حيث إن هذا المعلِّق يحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء ونحو ذلك .
وهو اختيار شارحي كتاب التوحيد الشيخ سليمان بن عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب والشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب واختيار اللجنة الدائمة للبحوث العلمية برئاسة العلامة ابن باز واختيار ابن عثيمين وغيرهم من المحققين رحم الله الجميع .

قوله : [" والرقى " : هي التي تسمى العزائم ، وخصَّ منها الدليل ما خلا من الشرك فقد رخص فيه النبي ￼ من العين والحمه]

الرقى : جمع رقية وهي التعويذ من القرآن أو غيره ، أي ما يعوذ به المريض من مرضه من عين أو سحر أو غير ذلك من الأمراض وهي نوعان :

1- الأولى : رقى مباحة ، وهي ما كانت من القرآن أو الأذكار الواردة في السنة أو الأدعية المباحة .
2- الثاني : رقى محرمة وهي سوى ما تقدم ، وهي الرقى الشركية التي يكون فيها استعاذة أو استغاثة بمخلوق أو تكون طلاسم لا يُدري ما لفظها ، أو كان فيها أسماء شياطين , أو كان فيها شرك .

وقوله : " وخص منها الدليل ما خلا من الشرك فقد رخص فيه الرسول ﷺ من العين والحمة " تقدم الحديث الدال على ذلك .

وقد ثبت في مسلم عن عوف بن مالك ﷺ قال : كنا نرقى في الجاهلية فقلنا يا رسول الله كيف ترى في ذلك فقال :)اعرضوا علي رقاكم لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً) .

ويشترط لجواز الرقى – وهي التعاويذ – ثلاثة شروط :

1- أن تكون بالقرآن أو الأذكار الواردة والأدعية المباحة .
2- أن تكون باللسان العربي أو بما يعرف معناه .
3- أن يعتقد أنها لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله عز وجل .

قوله : [و " التولة " هي شيء يضعونه يزعمون أنه يُحبِّب المرأة إلى زوجها والرجل إلى المرأة]

قوله : [وروى أحمد عن رويفع قال : قال لي رسول الله ﷺ : (يا رويفع ، لعل الحياة تطول بك ، فأخبر الناس أن من عقد لحيته أو تقلد وتراً ، أو استنجى برجيع دابة أو عظم ، فإن محمداً بريء منه]

هذا الحديث رواه أحمد وأبو داود والنسائي وهو حديث صحيح.

"يا رويفع لعل الحياة تطول بك" فيه علم من أعلام النبوة فإن رويفعاً طالت به الحياة إلى سنة (56 هـ) .

"أن من عقد لحيته " : قيل فيه : هو ما كان يفعلونه في الحرب , كانوا يعقدون لحاهم وذلك من زي بعض الأعاجم يفعلون ذلك تكبراً وعُجباً .

وقيل معناه : هي مشط شعر اللحية لتتعقد وتتجعد وذلك من فعل أهل التأنيث , وكلا الأمرين محرم .

"أو تقلد وتراً " أي جعله قلادة في عنقه أو عنق دابته ونحو ذلك ، وهو نوع من التمائم .

"فإن محمداً بريء منه " : وعيد شديد يدل على أنه من الكبائر , وهي إما براءة ناقصة أو براءة كاملة , فإن كان كافراً بفعله فالبراءة كاملة , وإلا فهي ناقصة على حسب التفصيل السابق .

ففي هذا الحديث النهي عن تقلد الوتر طلباً لدفع الضرر وذلك لأن دفع الضرر وجلب النفع من الأفعال المختصة بالله تعالى وطلبها من غيره شرك .

باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما

التبرك : هو طلب البركة .

والبركة : هي كثرة الخير وثبوته ، مأخوذة من البِركة بالكسر ، وهي مجمع الماء .

والتبرك نوعان :

1- تبرك مشروع : وهو ما ثبت أن فيه خير إما شرعاً وإما كوناً .

مثال ما ثبت في الشرع أنه بركة : تقبيل الحجر الأسود كما ثبت ذلك في السنة فإنه يشرع تقبيله .

ومثله : التبرك بقراءة القرآن ؛ فإن من بركته أن قراءته للتداوي به : شفاء .

ومثال ما ثبت كوناً أن فيه خير : النكاح والتجارة والزراعة مثلاً ، فمن طلب الولد بالنكاح ، وطلب كثرة المال بالتجارة أو الزراعة ، فإن ذلك جائز .
2- تبرك ممنوع : وهو ما لم يثبت شرعاً ولا كوناً أن فيه بركة.
مثاله : التمسح بجدران الكعبة فإنه لم يرد فيها شيء يعتمد عليه ، وكذلك مس مقام إبراهيم ، وكذلك التبرك بآثار الصالحين- سوى النبي محمد في حياته - وغيرها مما لم يثبت شرعاً ولا كوناً أن فيه خير ، فإن هذا التبرك ممنوع وهو من قبيل الشرك الأصغر ، لأنه اتخاذ سبب لم يجعله الله سبحانه سبباً لا شرعاً ولا كوناً ، ولأنه ذريعة إلى الشرك الأكبر .

قوله : [وقوله : أفرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى]
ووجه مناسبة الآية للترجمة :
أن اللات صخرة ومناة صخرة والعزى شجرة ، وما كان يفعله المشركون عند هذه الثلاث هو عين ما يفعله المشركون في الأزمنة المتأخرة عند الأشجار والأحجار ، وقد ساق الله عز وجل ذلك في مساق الذم .

قوله : [عن أبي واقد الليثي قال : (خرجنا مع النبي إلى حُنين نحن حدثاء عهد بكفر ... لتركبن سنن من كان قبلكم) رواه الترمذي وصححه]
" ونحن حدثاء عهد بكفر " : أي قريب عهدنا بالكفر .
ففيه دليل على أن غيرهم ممن تقدم إسلامه من الصحابة لا يجهل هذا .
وفيه أيضاً : أن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يؤمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة كما ذكر ذلك المصنف رحمه الله تعالى في المسائل .
" وينوطون بها أسلحتهم " : أي يعلقونها عليها للبركة .
فقد كانت عبادتهم بها بالتعظيم ، والعكوف عندها وهو عبادة . وأنهم كانوا يعلقون عليها الأسلحة تبركاً بها ، ففعلهم هذا شرك أكبر .
" فقلنا يا رسول الله : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط " : أي قال من كان حديثي عهد بكفر : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط .
فظنوا أن هذا لا يدخل في الشرك وأن كلمة التوحيد لا تهدم هذا الفعل .
وهم رضوان الله عليهم ظنوا أن هذا أمر محبوب عند الله وقصد التقرب به ، وإلا فهم أجل قدراً من أن يقصدوا مخالفة النبي .
فقال النبي) : قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة . (
فقد شبه النبي مقالتهم هذه بمقالة بني إسرائيل .
والصحابة هنا لم يفعلوا ما طلبوا بل انتهوا لما نهاهم النبي , ولو فعلوا ما طلبوا لكان شركاً أكبر وهم لم يفعلوا ولهذا لم يأمرهم النبي بتجديد إسلامهم .
وقوله : " الله أكبر " : المراد تعظيم الله تعالى وتنزيهه عن هذا الشرك بأي نوع كان .
" لتركبن سنن من كان قبلكم " : أي لتتبعن طرق من كان قبلكم من اليهود والنصارى ومناهجهم .
وفيه علم من أعلام النبوة من حيث أنه وقع كما أخبر به النبي .
والتبرك بالشجر أو الحجر أو بالقبر أو ببقاع مختلفة : قد يكون شركاً أصغر وقد يكون شركاً أكبر على حسب ما يقع في قلب المُتبرِك كما تقدم نظيره .

أي من الوعيد على ذلك ، وبيان أنه شرك أكبر ناقل عن الملة لأنه عبادة من أجلّ العبادات فصرفه لغير الله شرك أكبر كمن يذبح لقبر أو شجرة أو حجر أو ملك أو نبي أو جني أو لطلعة السلطان أو غير ذلك .
قوله : [وقول الله تعالى : ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أُمرت وأنا أول المسلمين] ﴾
﴿ إن صلاتي ونسكي ﴾ : أي ذبحي .
وهذه الآية فيها أن النسك وهو الذبح عبادة كما أن الصلاة عبادة حيث إن الله عز وجل تعبد عباده بأن يتقربوا إليه بهما فجعل الصلاة والنسك له سبحانه .
ومن صرف شيئاً من العبادات – مثل الذبح لغير الله - فهو مشرك شركاً أكبر مخرج من الملة كما قال تعالى : ﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون.﴾
قوله : [وقوله : ﴿ فصل لربك وانحر] ﴾
هذه الآية : فيها أمر من الله عز وجل بصرف الصلاة والنحر له سبحانه , والأمر بالشيء يدل على أنه عبادة فصرفه لغير الله شرك أكبر مخرج عن الملة .
قوله : [وعن علي ﷺ قال : (حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات : لعن الله من ذبح لغير الله ... الخ) رواه مسلم)
" لعن الله من ذبح لغير الله " هذا هو الشاهد . واللعن : هو الطرد والإبعاد عن مواطن الرحمة .
فقد لعن الله هنا على لسان رسوله من أراق الدم متقرباً إلى غيره سبحانه سواء أذكر اسم الله عليه أم لم يذكره .
" لعن الله من لعن والديه " : سواء كان ذلك مباشرةً أو تسبباً ، أما المباشرة فواضح ، وأما تسبباً فبأن يلعن أبا الرجل فيلعن الرجل أباه كما ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال : (من الكبائر شتم الرجل والديه) قالوا يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال : (نعم يسب أبا الرجل فيسب الرجل أباه ويسب أمه فيسب أمه) .
" لعن الله من آوى محدثاً " : المحدِث – بكسر الدال – هو المستحق للحد الشرعي ، وإيواؤه بأن يحول بينه وبين أن يُقام عليه هذا الحد .
والحدث نوعان :
1- حدث في الدين وهو البدعة .
2- وحدث في الشرع وهو المعصية التي يستحق عليه الحد أو التعزير .
وفي رواية : (محدَثاً) : بفتح الدال : وهي البدعة , ومعنى الإيواء على هذه الرواية : بالرضا بها, والصبر عليها , وعدم الإنكار على فاعلها والدال عليها , والثناء على اهل البدع فمن فعل ذلك فهو ملعون.
" لعن الله من غير منار الأرض " : منار الأرض وهي علامات حدودها ، أي لعن الله من قدَّم أو أخر ليغتصب من أرض جاره , ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال : (من اقتطع شبراً من الأرض ظلماً طوقه الله إياه يوم القيامة من سبع أرضين) . ويدخل في منار الأرض : الأعلام التي توضع على الطرق فيضل بسببه سالك الطريق.
فهذا الحديث دل على تحريم الذبح لغير الله وأنه من الكبائر لثبوت اللعن فيه وقد دلت الأدلة الأخرى على أنه – أي الذبح – عبادة ، فكان صرفه لغير الله شركاً أكبر .
مسألة : حكم اللعن :
- أما اللعن بالوصف : فهو جائز كلعن الواصلة والمستوصلة , وآكل الربا وموكله , والمصورين , والظالمين , والفاسقين , ولعن من لعن ولديه ومن غير منار الأرض , وغير ذلك مما جاءت النصوص الشرعية بإطلاق اللعن عليه من الأفعال والأوصاف .
- وأما لعن المعين : فقد اختلف فيه العلماء فمنهم من قال : بجوازه , ومنهم من قال : بتحريمه وهو الصحيح وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله , وعلى ذلك فلا يجوز لعن من لا يعرف حاله وخاتمته , ودليله : ما ثبت في البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما في دعاء النبي ﷺ وقوله : (اللهم العن فلاناً وفلاناً) فأنزل الله : ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ وسيأتي الحديث بعد ثلاثة أبواب إن شاء الله .

قوله : [وعن طارق بن شهاب أن رسول الله قال : (دخل الجنة رجلٌ في ذباب ، ودخل النار رجلٌ في ذباب ...) رواه أحمد]
" طارق بن شهاب " : هو البجلي الأحْمَسي , رأى النبي ولم يسمع منه توفي سنة 83 هـ .
وهذا الحديث رواه الإمام أحمد في كتاب الزهد موقوفاً على سلمان الفارسي ، وليس مرفوعاً إلى النبي , لكنه لا يمكن أن يكون من قبل الرأي فكان له حكم الرفع , وقد ذكره الإمام المجدد على هذه الحال - عن طارق بن شهاب - تبعاً للإمام ابن القيم رحمه الله , وإلا فقد رواه الإمام أحمد في الزهد وأبو نعيم في الحلية عن طارق بن شهاب عن سلمان الفارسي .

باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

هذا الباب عقده المؤلف رحمه الله تعالى لبيان أنه لا يجوز الذبح لغير الله عز وجل بمكان أُعد للذبح لغير الله ، لأن ذلك فيه مشابهة للمشركين ظاهرة في المكان وهو منهي عنه كما في الحديث : (من تشبه بقوم فهو منهم) رواه أحمد وأبو داود وهو حسن , وسداً لذريعة التشبه بالمشركين .
لذلك كان الذبح لله بمكان يُذبح فيه لغير الله محرم لا يجوز وهو شرك أصغر ؛ لأنه ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة إليه .
قوله : [وقوله تعالى : لا تقم فيه أبداً]
وهذه الآية نزلت في المنافقين الذين بنوا مسجد الضرار مضارة لمسجد قباء وكفرا بالله ورسوله فنهى الله رسوله عن الصلاة فيه بعد ماطلب المنافقون من النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة فيه .
ووجه مطابقة الآية للترجمة : أن هذا المسجد لما أسس على معصية الله الكفرية ، صار محل غضب، فنهى الله نبيه أن يقوم فيه أي للصلاة ، لوجود العلة المانعة وهو لا يصلي إلا لله ، فكذلك المواضع المعدة للذبح لغير الله يجب اجتناب الذبح فيها وهذا قياس صحيح يؤيده حديث ثابت الآتي .

قوله : [عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال : (نذر رجلٌ أن ينحر إبلاً ببوانة ...إلى قوله ولا فيما لا يملك ابن آدم) رواه أبو داود ، وإسناده على شرطيهما]
" بوانة " : اسم لموضع قريب من مكة .
قوله : " هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد " : فيه المنع من الوفاء بالنذر إذا كان في المكان وثن ولو بعد زواله .
ومعلوم : أنهم كانوا يذبحون لأوثانهم ويتقربون بذلك إليها .
" فهل كان فيها عيد من أعيادهم " : العيد : كما قال شيخ الإسلام : اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد إما بعود السنة أو الأسبوع أو الشهر أو نحو ذلك .
" فأوف بنذرك " : دلَّ على أن الوصف سبب الحكم .
فيكون سبب الأمر بالوفاء بالنذر خلو المكان عن هذين الوصفين وهذا يقتضي كون البقعة مكاناً لعيدهم أو بها وثن من أوثانهم مانع من الذبح ولو نذره .
"فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله " : والمعنى انه لو كان هناك مانع أصبح النذر نذر معصية، مثل أن يكون في المكان وثن من أوثان الجاهلية يعبد أو كان فيه عيد من أعيادهم . ولا يجوز الوفاء بنذر المعصية بإجماع أهل العلم , والراجح أيضاً أنه ليس فيه كفارة واختاره شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله .
"رواه أبو داود ، وإسناده على شرطيهما " : والحديث صحيح .
ومناسبة الحديث للباب ظاهرة : حيث أن النبي استفصل لما سأله هذا السائل عن النحر في هذا الموضع هل كان فيها وثن يُعبد أو عيد من أعياد الجاهلية .

وظاهر ذلك : أنه لو كان فيه ذلك لنهاه النبي فدل هذا على أنه لا يجوز الذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله ؛ لأنه ذريعة إلى الموافقة للمشركين في الباطن ، ولما فيه من إساءة الظن به عند أهل الإيمان ، ولما فيه من اغترار ضعفة النفوس به .

باب من الشرك النذر لغير الله

لما كان النذر عبادة من العبادات ، كان صرفه لغير الله شركاً أكبر مخرج من الملة وهذه هي القاعدة في كل العبادات وأنه يجب صرفها لله عز وجل ، وصرفها لغيره شرك أكبر.
والنذر : هو أن يلزم المكلف نفسه بشيء غير واجب شرعاً .
وقد ذكر المؤلف رحمه الله تعالى في هذا الباب أدلة على أن النذر عبادة ، وإذا ثبت ذلك أي كونه عبادة وجب صرفه لله وكان صرفه لغير الله شركاً أكبر .
قوله : [وقول الله تعالى : يوفون بالنذر]
يمدح الله عز وجل في هذه الآية المؤمنين بكونهم يوفون بما نذروه من المنذورات ويثني عليهم بذلك، والله عز وجل لا يمدح إلا ما هو عبادة.
ومناسبة الآية للباب : أنها دلت على أن النذر عبادة وإذا كان كذلك فيجب صرفه لله تعالى ويكون صرفه لغيره شرك أكبر .
قوله : [وقول الله تعالى : وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه]
أي ما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذرٍ فإن الله يعلمه فيجازيكم عليه ويثيبكم عليه فدل ذلك على أن النذر عبادة لأنه يترتب عليه الثواب .
قوله : [وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله قال : (من نذر أن يطيع فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه)]
" في الصحيح " : الحديث رواه البخاري .
" من نذر أن يطيع الله فليطعه " : هذا يدل على وجوب الوفاء بذلك النذر الذي نذره , وكون ذلك واجباً يدل على أن الوفاء بالنذر محبوب لله تعالى وعلى ذلك فيدخل في تعريف العبادة .
" ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه " : من نذر نذر معصية كأن يقول : " لله علي نذر أن أسرق كذا كذا " فإنه لا يجوز الوفاء به .
ولكن هل عليه كفارة يمين أم لا ؟
هذه المسألة فيها خلاف بين العلماء والراجح هو وجوب الكفارة عليه لزيادة في هذا الحديث رواه احمد وابو داود وهي قوله : " وليكفرن يمينه. "
ومناسبة الحديث للترجمة : أنه دل على وجوب الوفاء بنذر الطاعة , وهذا يدل على أنه عبادة , وإذا كان عبادة فصرفه لغير الله تعالى شرك أكبر .
وأما النذر الشركي : فلا يجوز الوفاء به ولا كفارة فيه ؛ لأنه شرك والشرك ليس له حرمة بل عليه أن يستغفر الله تعالى .
ومثله أن يقول : للسيد الفلاني عليَّ أن أتصدق بكذا وكذا أو نحو ذلك .

باب من الشرك الاستعاذة بغير الله

ومعنى الاستعاذة بالله تعالى : الالتجاء والاعتصام بالله عز وجل من شر كل ذي شر .

وهي – أي الاستعاذة – من العبادات التي أمر الله تعالى بها كما قال تعالى : وإما ينزغنك من الشيطان نزغٌ فاستعذ بالله ، وكقوله : قل أعوذ برب الفلق و قل أعوذ برب الناس وقد تقدم أن كل ما أمر الله به فهو عبادة , وإذا ثبت أن الاستعاذة عبادة كان صرفها لغير الله شركاً أكبر .
لكن إن استعاذ بالمخلوق الحي الحاضر فيما يقدر عليه مع توجه القلب إلى الله تعالى وحسن ظنه به , واعتقاده أن هذا المخلوق إنما هو سبب - فهذا جائز .
قوله : [وقول الله تعالى : وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً
وعن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله يقول : (من نزل منزلاً فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك) رواه مسلم
" من نزل منزلاً " : يشمل من نزل منزلاً على سبيل الإقامة الدائمة أو الطارئة .
" أعوذ " : أي ألتجئ وأعتصم .
" بكلمات الله التامات " : أي الكاملات التي لا يلحقها نقص ولا عيب كما يلحق كلام البشر .
" من شر ما خلق " : أي من شر كل مخلوق قام به الشر ، لا من شر كل ما خلق الله ؛ فإن الجنة والملائكة والأنبياء لا شر فيهم .
" لم يضره شيء " : " شيء " : نكرة في سياق النفي ، فتفيد العموم ، أي لم يضره شيء لا من شياطين الإنس ولا من الجن ، لا من الظاهر ولا من الخفي ، " حتى يرتحل من منزله ذلك " .
هذا الذكر الوارد في الحديث شرعه الله على لسان نبيه لأهل الإسلام يستعيذوا به بدلاً عما يفعله أهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن .
وفيه الاستعاذة بكلمات الله وهي من صفاته سبحانه , فيجوز الاستعاذة بصفات الله كما في الحديث :
)أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر) فعلى ذلك يجوز الاستعاذة بالله أو بصفة من صفاته .
إذن هذا الحديث مما استدل به أهل السنة على أن كلام الله غير مخلوقة لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك ، وهنا أمر النبي بالاستعاذة بكلمات الله عز وجل فدل على أنها غير مخلوقة .

باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

الاستغاثة : هي طلب الغوث في إزالة الشدة من فقر أو مرض أو مهلكة .
والفرق بين الدعاء والاستغاثة : أن الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب وأما الدعاء فهو أعم منها لأنه يكون من المكروب وغيره .
قوله : [وقول الله تعالى : ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك من الظالمين ، وإن يمسسك الله... الآية [
ينهى الله نبيه محمداً أن يدعوا أحداً من سائر المخلوقين العاجزين عن إيصال النفع ودفع الضر ، وأنه لا يجوز طلب ذلك إلا ممن يملكه وهو الله وحده وهذا يعم دعاء العبادة ودعاء المسألة .
وهذا الخطاب للنبي وهو عام لأمته .
فإن فعلت : أي دعوت أحداً من دون الله .
فإنك إذاً من الظالمين : أي من المشركين كما قال تعالى : إن الشرك لظلم عظيم .
قوله : [وقوله : فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه
وروى الطبراني بإسناده : أنه كان في زمن النبي منافق يؤذي المؤمنين ...، وإنما يُستغاث بالله]

فيه عبدالله بن لهيعة وهو ضعيف الحديث ، فعلى ذلك الحديث ضعيف لكن معناه صحيح ؛ لأن معناه قد دل عليه القرآن ، فإن فيه النص على أنه لا يُستغاث بالنبي ولا بمن دونه وقد كره النبي أن يستعمل هذا اللفظ في حقه ، وإن كان مما يقدر عليه في حياته ، حماية لجناب التوحيد ، وسداً لذرائع الشرك وأدباً وتواضعاً لربه ، وتحذيراً للأمة من وسائل الشرك في الأقوال والأفعال .

بـاب قول الله تعالى : أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون ، ولا يستطيعون لهم نصراً

أراد المصنف رحمه الله بهذا الباب والذي يليه : الرد على كل مشرك كائناً من كان وذكر الأدلة من الكتاب والسنة الدالة على بطلان الشرك , فهذا الباب في أدلة بطلان الشرك .
قوله تعالى أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون استفهام إنكار وتوبيخ وتعنيف .
وهم يخلقون والمخلوق لا يستحق أن يكون شريكاً للخالق في العبادة التي خلقهم لها .
وأخبر أنهم مع ذلك لايستطيعون لهم نصراً أي لمن سألهم النصرة .
ولا أنفسهم ينصرون وهاتان الصيغتان أبلغ مما قبلهما .
أي فكيف يشركون بالله من لا يستطيع نصر عابديه ولا نصر نفسه وذلك برهان قاطع على بطلان ما كانوا يعبدونه من دون الله تعالى .
قال المؤلف رحمه الله تعالى : [وقوله : والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير]
القطمير : هو الغشاء الرقيق الذي يكون على نواة التمرة .
فإذا كانوا لا يملكون القطمير وهو شيء حقير فغيره مما هو أعلى منه من باب أولى .
قال المؤلف : [وقوله : وفي الصحيح عن أنس رضي الله عنه قال : (شج النبي يوم أحد وكسرت رباعيته فقال : كيف يفلح قوم شجوا نبيهم) فنزلت : ليس لك من الأمر شيء الآية]
" في الصحيح " : رواه البخاري معلقاً ووصله مسلم في صحيحه .
" شج " : الشج هو الجرح في الرأس والوجه خاصة .
وهذا الحديث فيه بيان أن النبي وهو أفضل خلق الله عز وجل لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، بل تصيبه محن الدنيا وغير ذلك كما في غزوة أحد هنا فقد جرح في رأسه وكسرت رباعيته .
ولما حصل له ذلك قال : (كيف يفلح قوم شجوا نبيهم) أي استبعد فلاحهم فأنزل : ليس لك من الأمر شيء أي ليس لك من الحكم في عبادي شيء وإنما أنت مأمور بإنذارهم وجهادهم وليس لك إلا ما أمرتك به فإذا كان النبي وهو أفضل البشر ليس بيده شيء من تصريف الأمور دل ذلك على أنه لا يجوز صرف شيء من العبادات له وغيره ممن هو دونه من باب أولى .
وهذا يدل على عدم استحقاقه لشيء من العبادة ؛ لأن الأمر كله لله والرسول إنما هو مبلغ عن الله تعالى أمره .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : [وفيه عن ابن عمر أنه سمع رسول الله يقول : (إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر ...) الحديث .
وفي رواية : (يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام فنزلت : ليس لك من الأمر شيء]
" وفيه " : أي في الصحيح وقد رواه البخاري .
قوله " وفي رواية :"يدعوا ... " رواها البخاري تعليقاً ووصلها أحمد والترمذي بسند ضعيف فهي ضعيفة .

ففي هذا الحديث أن النبي دعا على المشركين فقال : (اللهم العن فلاناً وفلاناً) فما استجيب له فيهم بل أنزل الله : ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم وقد تاب الله على هؤلاء المذكورين في الرواية وإن كانت الرواية ضعيفة .
فهنا النبـــي لم يستجب له في هؤلاء الكفار الذين دعا عليهم في الصلاة مع أنهم قد آذوه وشجوا رأسه وكسروا رباعيته ، والصحابة كانوا يؤمنون على دعائه ومع ذلك أنزل الله هذه الآية .
وفي هذا أكبر دلالة على أنه لا يملك ولا يقدر إلا على ما أقدره الله عليه ، فبطل ما يعتقده فيه المشركون أنه ينفع دعاؤه بعد موته ، أو دعاء أحد من سائر الأنبياء والصالحين هذا وجه , ووجه آخر : وهو أن وقوع الضرر بالنبي وسادات الصحابة دليل على أنهم لا يستطيعون دفع الضر عن أنفسهم فدل على بطلان عبادتهم وإذا كان هذا فيهم فغيرهم من باب أولى .
قال المؤلف رحمه الله تعالى : [وفيه عن أبي هريرة قال : (قام فينا رسول الله حين أُنزل عليه : وأنذر عشيرتك الأقربين قال : يا معشر قريش ... لا أغني عنك من الله شيئاً)]
" وفيه " : أي في الصحيح وقد رواه البخاري ومسلم .
" اشتروا أنفسكم " : أي خلصوها بتوحيد الله تعالى وطاعته , فإن هذا هو الذي ينجيكم من عذاب الله ، لا الاعتماد على الأحساب والأنساب فإن ذلك غير نافع لكم عند الله عز وجل .
" لا أغني عنكم من الله شيئاً " : أي لا أنفعكم بدفع شيء عنكم دون الله ، ولا أمنعكم من شيء أراده الله لكم ، لأن الأمر بيد الله ولهذا أمر الله نبيه محمداً بذلك فقال : قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً . قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً .
" وشيئاً " : نكرة في سياق النفي فتفيد العموم .
ثم عمم بالنذارة ثم خص بعد ذلك بالنذارة من هي بضعة منه وهي فاطمة فقال : (سليني من مالي ما شئت) لأن هذا هو الذي يقدر عليه ، وأما ما كان من أمر الله فلا قدرة لأحد عليه .
فإذا كان لا ينفع ابنته وعمه وعمته وقرابته فغيره لايقدر على ذلك بطريق الأولى والأحرى .

باب قول الله تعالى: حتى إذا فزِّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد أنه متمم للباب السابق حيث فيه بيان شيء من أدلة بطلان الشرك ؛ وأن الملائكة ومنهم سيدهم جبريل عليه السلام لا ينفع ولا يضر بل هم كما قال تعالى عنهم (يخافون ربهم من فوقهم) وفيه أيضا برهان أن المستحق للعبادة هو الله جل جلاله .
ففي هذا الباب بيَّن المؤلف رحمه الله بطلان عبادة الملائكة وفي الباب السابق بيَّن فيه بطلان عبادة كل من عبد من دون الله من الأنبياء والصالحين وغيرهم .
قوله تعالى : حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم
فهذه الآية فيها خوف الملائكة من الله وتذللهم له فدل ذلك على عدم جواز عبادتهم وإن كان هذا فيهم مع قربهم من الله عز وجل فغيرهم ممن هو دونهم من باب أولى وهذا دليل على بطلان الشرك وأن المستحق للعبادة هو الله تعالى وحده دون ما سواه ..
قوله : [وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي قال : (إذا قضى الله الأمر في السماء ... التي سمعت من السماء)]
" في الصحيح " : رواه البخاري في صحيحه .
وهذا الحديث فيه أن الملائكة إذا سمعوا كلام الله سبحانه خافوا وفزعوا هيبة منه سبحانه ، ومع ذلك يعتريهم هذا الخوف والاضطراب ، فكيف يُعبدون ؟!!!.

قوله : [وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر ... عز وجل)]
هذا الحديث رواه ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيرهما ، ورواه غيرهما والحديث إسناده ضعيف لأن فيه نعيم بن حماد وهو ضعيف , وفيه أيضاً الوليد بن مسلم وهو مدلِّس وقد عنعن ، فعلى ذلك الحديث ضعيف .

باب الشفاعة

لغة : من الشفع وهو ضد الوتر . واصطلاحا : التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة .
قال تعالى : ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار. ﴾
فسمى الله تعالى فعلهم هذا كذباً وكفراً فهم كذبة بهذا القول وهم كفار بهذا الفعل .
وإيراده لهذا الباب بعد البابين اللذين قبله مناسب جداً , وذلك أن الذين يسألون النبي ﷺ ويستغيثون به ويدعونه أو يدعون غيره من الأنبياء والصالحين إذا أقيمت عليهم الحجة بما ذكر من توحيد الربوبية قالوا : نحن نعتقد ذلك ولكن هؤلاء معظمون قد رفعهم الله عنده ولهم جاه فنحن نتقرب لهم طلباً لشفاعتهم .
قوله : [وقوله تعالى : ﴿ وأنذر به الذين يخافون أن يُحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع ﴾]
﴿ وأنذر به ﴾ : أي بالقرآن .
فهذه الآية : فيها نفي الشفاعة التي تعلق بها المشركون وهي أن الشافع يشفع ابتداءً من دون إذن الله عز وجل له ورضاه عن المشفوع له .

قوله : [وقوله : ﴿ قل لله الشفاعة جميعاً ﴾]
واللام في قوله : ﴿ لله ﴾ للملك : أي هي ملك لله تعالى , فإذا كانت الشفاعة ملكاً لله فهذا يُبطل تعلق المشركين بمسألة الشفاعة لأنها ملك لله تعالى وهذا المدعو سواءً كان نبياً أو ملكاً أو ولياً أو غير ذلك لا يملكها .
والشفاعة تنفع لكن لابد لها من شروط ولهذا أورد الآيتين بعدها .
قوله : [وقوله : ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾]
أي لا أحد يشفع عنده سبحانه إلا بإذنه فهذه الآية فيها اشتراط الإذن ، فليس أحد يشفع إلا بشرط أن يأذن الله له وهذا عام في الملائكة والأنبياء والمقربين وغيرهم .
قوله : [﴿ وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ﴾]
فهذه الآية فيها اشتراط إذن الله سبحانه وتعالى وشرط آخر وهو رضى الله تعالى عن المشفوع له وقد قال تعالى : ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ والرضا يكون : لمن سلم من الشرك كما سيأتي ذكره .
وإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين فكيف تُرجى شفاعة هذه الأنداد عند الله سبحانه .
قوله : [فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك ، ولهذا أثبت الشفاعة في إذنه في مواضع، وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص انتهى كلامه]
فقد وردت آيات فيها نفي الشفاعة ،وآيات فيها إثباتها فعلمنا قطعاً أنهما شفاعتان , شفاعة منفية وشفاعة مثبتة
فالآيات التي نفت الشفاعة المراد بها : ما كان فيها شرك وهي ما كانت تُطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله
والشفاعة التي أُثبتت في بعض الآيات هي ما توفر فيها إذن الله للشافع ، ورضاه عن المشفوع له . والله عز وجل لا يرضى إلا عن أهل التوحيد والإخلاص لذا قال : " وقد أخبر النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص "

باب قول الله تعالى : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ... ﴾

غرض المصنف من عقد هذا الباب :
الرد على الذين غلوا في النبي ﷺ وعلى الذين يتعلقون بالأولياء والصالحين ويدعونهم من دون الله ويستغيثون بهم ؛ لأنه إذا كان رسول الله ﷺ لم يملك لعمه أبي طالب شيئاً ولم يستطع هدايته فغيره من باب أولى .
﴿ لا تهدي من أحببت ...﴾ المنفي هنا : هداية التوفيق والقبول ، فإن أمر ذلك إلى الله وهو القادر عليه ، وذلك أن الهداية نوعان :
1- النوع الأول : هداية بيان وإرشاد ، وهذه تثبت للنبي ﷺ ولكل الدعاة إلى الله عز وجل كما قال تعالى عن رسوله : ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ وقال: ﴿وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى﴾ أي بيَّنا لهم وأرشدناهم فاستحبوا العمى على الهدى . ومنه قوله ﷺ لعلي : (فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم) .
2- وهداية التوفيق والقبول : وهي أن يلزم الداعي المدعو الخير الذي دعي إليه فيوفق للإسلام والطاعة وترك الفسوق والعصيان ,وهذا ليس إلا لله عز وجل فهو الذي يهدي من يشاء ويُضل من يشاء وهي المنفية في هذه الآية .

قوله : [وفي الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة ... ﴿ ... ولكن الله يهدي من يشاء ﴾]
" في الصحيح " : رواه البخاري ومسلم رحمهما الله .
" عن ابن المسيب عن أبيه " : ابن المسيب هو : سعيد بن المسيب بن حَزْن المخزومي وهو من أئمة التابعين ، وأبوه : المسيب صحابي وكذا جده رضي الله عنهما .
" لما حضرت أبا طالب الوفاة " : أي علاماتها ومقدماتها .
" جاء رسول الله ﷺ وعنده عبدالله بن أبي أمية وأبو جهل فقال له : يا عم قل لا إلـه إلا الله " : أمره النبي ﷺ بذلك ليحصل له الفوز والسعادة والظفر ، وقد كان النبـــي ﷺ يعلم أن أبا طالب يعرف معناها ، وكذلك الحاضرون يعلمون ما دلت عليه من نفي الشرك والبراءة منه ولهذا عارضوه بما يأتي .
" كلمة أحاج لك بها عند الله " : أي أشهد لك بها عند الله ، وأعتذر بها لك عنده .
وفيه دليل على أن الأعمال بالخواتيم ، لأنه لو قالها في تلك الحال معتقداً ما دلت عليه من النفي والإثبات لنفعه ودخل بها في الإسلام .
" فقالا له : أترغب عن ملة عبدالمطلب " : ذكَّراه بالحجة الملعونة التي يحتج بها المشركون على الرسل عليهم الصلاة والسلام كما قال تعالى : ﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آبائنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون . ﴾
وملة عبدالمطلب الشرك وعبادة الأوثان كما كانت قريش وغيرهم في جاهليتهم كذلك .
قال المصنف : (وفيه مضرة أصحاب السوء على الإنسان ، فينبغي الحذر من قربهم والحذر من الاستماع لهم .
وفيه – أيضاً – مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر إذا زاد على المشروع بحيث تجعل أقوالهم حجة يرجع إليها عند التنازع .
(فكان آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب) : أبو طالب قال : (أنا) لكن الراوي غيره استقباحاً للفظ المذكور وهو من التصرفات الحسنة .
(وأبى أن يقول لا إله إلا الله) : هذا تأكيد من الراوي على نفي وقوع ذلك من أبي طالب ففيه أن أبا طالب مات كافراً ، وفيه رد على الرافضة وغيرهم ممن ادعى إسلامه .
فقال النبي) : ﴿لأستغفرن لك ما لم أنه عنك) فأنزل الله عز وجل: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى ﴾ وأنزل الله في أبي طالب: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء.﴾
وهذا فيه أنه لا يجوز الاستغفار للمشركين ولا الدعاء لهم .

باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

لما ذكر المؤلف أدلة وبراهين على التوحيد فيما تقدم من الأبواب ، وهي أدلة قاطعة على توحيد الله عز وجل ونفي عبادة ما سواه أراد المؤلف رحمه الله بهذا الباب بيان السبب في كفر بني آدم وتركهم دينهم فإن الأدلة السابقة دالة بظهور ووضوح على وجوب التوحيد وبطلان الشرك وعبادة غير الله جل وعلا , وإذا كان الأمر كذلك فلماذا وقعت الأمم في الشرك ؟ وجواباً على ذلك عقد المؤلف هذا الباب .
والغلو لغة : هو مجاوزة الحد .
وفي الاصطلاح : هو الإفراط في تعظيم شيء بالأقوال أو الأفعال أو الاعتقادات .
قوله : [وقول الله تعالى : ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم ﴾ الآية]
أي لا تتعدوا ما حد الله لكم ، ولا ترفعوا المخلوق عن منزلته التي أنزله الله .
قوله : [وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما ، في قول الله تعالى : ﴿ وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً ﴾ قال : " هذه أسماء رجال صالحين " وقال ابن القيم ... فعبدوهم]
" في الصحيح " : رواه البخاري .
هذه أصنام كان قوم نوح يعبدونها من دون الله فبين هذا الأثر كيف عُبد هؤلاء !!!!.
" هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم " فقد كان هؤلاء أهل دين وخير وفضل ، وماتوا في زمن متقارب ، فأسفوا عليهم وصاروا يترددون على قبورهم فأتاهم الشيطان وسول لهم أن يصوروا صورهم ليكون أسهل عليهم من المجيء إلى قبورهم ولم يكونوا قصدوا عبادتهم وإنما قصدوا التذكر بهم ليكون أدعى لهم على فعل الخير والتأسي بهم ، والمراد بالأنصاب هنا الأصنام المصورة على صورة أولئك الصالحين التي نصبوها في مجالسهم ليتذكروا أفعالهم بها وهنا قد أخرج الشيطان لهم هذه الحيلة بقالب المحبة .
" ففعلوا ولم تعبد " : أي فعل أولئك ما أوحاه الشيطان لهم من تصوير صالحيهم ولم تعبد تلك الصور لقرب عهدهم بمعرفة الهالكين وما صوروا لأجله .
" حتى إذا هلك أولئك " أي الذين صوروا تلك الأصنام .
" ونسي العلم " في رواية " ونسخ العلم " أي درس آثاره بذهاب العلماء وعم الجهل حتى صاروا لا يميزون بين التوحيد والشرك ، فوقعوا في الشرك الأكبر ظناً منهم أنه ينفعهم عند الله تعالى .
" عبدت " : كان تصوير هذه التماثيل سبباً لوقوعهم في الشرك الأكبر حيث أتاهم إبليس فقال لهم : إن من كان قبلكم كانوا يعبدونهم ، وبهم يسقون المطر فزين لهم عبادة الأصنام وأمرهم بها .
وهذا يفيد الحذر من الغلو ووسائل الشرك وإن كان القصد بها حسناً .
قوله : [وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) أخرجاه]
" أخرجاه " : الحديث رواه البخاري فقط وليس هو في مسلم .
" لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم " : الإطراء : هو مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه .
أي لا تمدحوني فتغلوا في مدحي فتمدحوني بمدح زائد ليس لي بل هو لمقام الرب سبحانه كما غلت النصارى في عيسى بن مريم حتى رفعوه إلى الإلهية .
" فقولوا عبد الله ورسوله " : أي إنما أنا عبد الله ورسوله .
فصفوني بذلك كما وصفني ربي فقولوا : عبد الله ورسوله ولا تجاوزوا هذا القول .
فقد نهى النبي ﷺ عن إطرائه في المدح لأن ذلك سبباً يؤدي إلى عبادته ﷺ كما حصل ذلك من النصارى في عيسى عليه السلام .
قوله: [وقال رسول الله ﷺ : (إياكم والغلو ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو)]
الحديث رواه أحمد والنسائي وابن ماجه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وهو حديث صحيح .

"إياكم والغلو " : أي أحذروا الغلو وتقدم تعريفه ، وهذا النهي عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال .
" فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو " : فهذا فيه أن سبب هلاك الأمم السابقة هو الغلو في الدين حيث أداهم الغلو في الصالحين إلى الوقوع في الشرك وترك الدين الصحيح وكان هذا سبب عذابهم .
قوله : [ولمسلم عن ابن مسعود : أن رسول الله ﷺ قال : (هلك المتنطعون) قالها ثلاثاً)]
التنطع هو : التكلف والتعمق سواء كان ذلك في الأقوال أو الأفعال أو الاعتقادات .
والخلاصة من هذا الباب :-
أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين ، وأن الواجب أن ينزل الصالحون منزلتهم التي أعطاهم الله عز وجل من المحبة والمدح والثناء وغير ذلك ولكن من غير مجاوزة للحد بل لا إفراط ولا تفريط .

باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده ؟

أي باب ذكر ما ورد في النصوص من التغليظ والتهديد ، والوعيد الشديد على من يعبد الله عند قبر رجل صالح ، مع أنه لا يقصد إلا الله , ومع كونه معصية فإنه وسيلة وذريعة من أعظم الوسائل والذرائع إلى الشرك وقد أبدى ﷺ وأعاد وكرر وغلظ في ذلك فكيف إذا عبد الرجل الصالح فإنه أحق وأولى بما هو أعظم من هذا التغليظ .
وعبادة الله عنده وسيلة إلى عبادته ، وكل ما أدى إلى محرم فهو محرم .
فإن الوسائل لها حكم الغايات ، فوسائل الشرك محرمة لأنها تودي إليه .
والمؤلف قدس الله روحه لما رأى تهافت الناس على عبادة القبور نوَّع التحذير من الافتتان بالقبور ، وأخرجه في أبواب مختلفة ، ليكون أوقع في القلوب وأحسن في التعليم ، وأعظم في الترهيب ، وأبلغ في التحذير .
قوله : [وفي الصحيح عن عائشة أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة ... وفتنة التماثيل)]
" بنو على قبره مسجداً " : أي موضعاً للعبادة ، وإن لم يسم مسجداً كالكنائس والمشاهد .
" وصوروا فيه تلك الصور " : الإشارة إلى ما ذكرت له أم سلمة من التصاوير التي في تلك الكنيسة.
" أولئك شرار الخلق عند الله " : وهذا يقتضي تحريم بناء المساجد على القبور .
وفعلهم هو أنهم بنوا على قبر هذا الصالح مسجداً وصوروا صور هؤلاء الصالحين ليتأسوا بهم ويتذكروا أفعالهم الصالحة ومع ذلك هم شرار الخلق عند الله عز وجل مع أنهم لم يعبدوا هؤلاء الصالحين ولا القبور فكيف بمن عبدهم ؟
" فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين ، فتنة القبور وفتنة التماثيل ".
هذا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية على هذا الحديث .
والمراد أن الذين بنوا هذه الكنيسة جمعوا بين فتنتين ضل بهما كثير من الخلق .
وهاتان الفتنتان هما سبب عبادة الصالحين كاللات والعزى وغيرها .
وهذا الحديث فيه أن الذين يتخذون قبور الأنبياء والصالحين مساجد : هم شرار الخلق عند الله وهم يعبدون الله عز وجل فيها ، فكيف بمن عبد صاحب هذا القبر .
قوله : [ولهما عنها قالت : لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه ... أخرجاه]
" لهما " : أي للبخاري ومسلم ، وهو يعني عن قوله في آخره (أخرجاه) .
" لما نُزل برسول الله ﷺ " : أي نزل به ملك الموت عليه السلام .
" طفق " : أي جعل .
" خميصة " : كساء له أعلام .
" فإذا أغتم بها كشفها " : أي إذا اغتم بها فاحتبس نفسه عن الخروج كشفها عن وجهه لشدة ما يعالج ﷺ من كرب الموت .

" فقال وهو كذلك " : في هذه الحالة الحرجة وهي شدة النزع قال : ما سيأتي ذكره لشدة اهتمامه واعتنائه بمقام التوحيد .
وهذه الوصية لها أهميتها إذ لا يوصى في مثل هذه الحال إلا بما هو مهم غاية الأهمية .
)لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) أي كنائس وبيعاً أي يتعبدون ويسجدون فيها لله ، وإن لم يسموها مساجد ، فإن الاعتبار بالمعنى لا بالاسم .
وفي رواية : (كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد) فقد لعنهم النبي وسبب اللعنة أنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يعبدون الله عندها ، فكيف إذا عبدوها .
وهذا اللعن منه على سبيل التحذير الشديد لئلا تقع أمته في شيء من فعلهم عند قبره .
واللعنة ليست مختصة باليهود والنصارى ، بل تعم من فعل فعلهم ولو كان مسلما .
" يحذر ما صنعوا " : هذا من كلام عائشة رضي الله عنها .
أي أن رسول الله لعن اليهود والنصارى تحذيراً لأمته أن يفعلوا ما فعلت اليهود والنصارى فيقع بهم من اللعنة ما وقع بهم .
" ولولا ذلك أبرز قبره " : أي لولا تحذير النبي ما صنعوا ولعنه من فعل ذلك لأبرز قبره أي لدفن خارج بيته أو مع قبور الصحابة الذين كانت قبورهم في البقيع .
"غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً :
ففي هذا بيان للعلة التي من أجلها لم يبرز قبر النبي وهو خشية أن يُتخذ مسجداً .
والصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً ، لكن خافوا أن يتخذ مسجداً من غيرهم على حين غفلة بأن يُقصد للصلاة عنده أو يصلي عنده فإنه حينئذ يكون قد اتخذ مسجداً .
وهذا الحديث فيه لعنُ النبي لليهود والنصارى بسبب اتخاذهم قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد وهذا مع أنهم كانوا يعبدون الله فيها فكيف إذا عبدوها ، ففيه تحذير للأمة من فعلهم لئلا يلحقهم من اللعن ما لحقهم .
قوله : [ولمسلم عن جندب بن عبدالله قال : (سمعت النبي قبل أن يموت بخمس ... فإني أنهاكم عن ذلك)]
" بخمس " : أي خمس ليال .
"إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل " : أي أمتنع عما لا يجوز لي أن أفعله .
والخلة : فوق المحبة ، والخليل هو المحبوب غاية الحب ، مشتق من الخُلة وهي تخلل المودة في القلب .
وإنما كان ذلك لأن قلبه قد امتلأ من محبة الله وتعظيمه ومعرفته فلا يسع لمخالة غيره .
)فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً) : فيه أن محمداً خليل لله عز وجل .
وبهذا يتبين خطأ من يقول : الخلة لإبراهيم عليه السلام والمحبة لمحمد بل الخلة لهما جميعاً .
ثم إن المحبة تثبت لسائر الأنبياء بل لمن دونهم من الأولياء : يحبهم ويحبونه وفي الحديث : (يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله) أما الخلة فإنها خاصة .
(ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً) : هذا فيه فضيلة أبي بكر الصديق .
وفيه أيضاً إشارة إلى خلافته .
)ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك) : هنا النبي يحذر الأمة أن تتخذ القبور مساجد كالذين من قبلهم وأكد النهي فقال : (فإني أنهاكم عن ذلك) أي عن اتخاذها مساجد سداً لذريعة الشرك بالله عز وجل .
وهذا الحديث فيه ما في الأحاديث التي قبله من النهي والتحذير من اتخاذ القبور مساجد لعبادة الله عز وجل فكيف بمن عبد صاحب قبر ؟!
وهذا التحذير سداً لذريعة الشرك بالله عز وجل وعبادة غيره .
قوله : [فقد نهى في آخر حياته ثم إنه لعن – وهو في سياق – من فعله والصلاة ... (... وطهوراً)]
هذا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

" فقد نهى عنه في آخر حياته " : كما في حديث جندب (قبل أن يموت بخمس) .
قوله : [ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود مرفوعاً : (إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد) رواه أبو حاتم في صحيحه]
الحديث إسناده جيد .
)إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء) وفي صحيح مسلم أن النبي □ قال : (لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض : الله الله . (
(والذين يتخذون القبور مساجد) : أي إن من شرار الخلق الذين يتخذون القبور مساجد ، بالصلاة عندها والصلاة إليها ، وبناء المساجد عليها .
ففيه أن من شرار الناس الذين يتخذون القبور مساجد ، وهم إنما يعبدون الله ، فكيف إذا عبدوا صاحب القبر ؟
وإنما نهي عن ذلك – كما تقدم – سداً لذريعة الشرك بالله عز وجل فهذا الفعل منهم ذريعة إلى الشرك بالله تعالى .
" وأبو حاتم " : هو ابن حبان البُسْتي صاحب الصحيح .

باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تُعبد من دون الله

أي ذكر ما ورد من الدليل والبرهان أن الغلو في قبور الأنبياء والصالحين من البناء عليها واتخاذ المساجد عليها والصلاة عندها وغير ذلك من أنواع الغلو يجعلها أوثاناً تُعبد من دون الله عز وجل لأنه يورث العبادة والتأله شيئاً فشيئاً.
فالغلو في قبور الصالحين وسيلة وذريعة إلى جعلها أوثاناً من دون الله تعالى , والغلو في قبور الصالحين يكون بمجاوزة ما أذن فيها .
قوله : [روى مالك في الموطأ أن رسول الله □قال : (اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد ، اشتد غضب الله على قومٍ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)]
" اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد " : خاف النبي □ أن يقع في أمته ذلك كما وقع من اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم ، ولو كان ذلك لا يقع أصلاً ولا يمكن أن يقع لما دعا النبي □ بهذا الدعاء ألا يجعل قبره وثناً يُعبد .
وقد استجاب الله دعاءه فصان قبره وأحاطه بثلاثة جدران مثلثة لا يستطيع أحد الوصول إليه ولا استقباله ، قال ابن القيم :

فأجاب رب العالمين دعاءه وأحاطه بثلاثة الجدران
حتى غدت أرجاؤه بدعائه في عزة وحماية وصيان

وقد دل الحديث على أن قبر النبي □ لو عُبد لكان وثناً لكن الله تعالى حماه بما حال بينه وبين الناس فلا يوصل إليه .

" اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " : فعليهم غضب شديد من الله عز وجل ؛ لأنهم غلو في القبور , وقد جمع النبي □ في هذا الحديث بين ذكر الوسيلة والتنفير منها , وبين ذكر نهاية ما تصل بأصحابها إليه وهي أن تكون القبور أوثاناً تعبد من دون الله عز وجل .

والحديث رواه الإمام مالك في الموطأ مرسلاً عن عطاء بن يسار عن الرسول □ ، والمرسل من أقسام الحديث الضعيف .

لكن رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة □ أن النبي □ قال : (اللهم لا تجعل قبري وثناً ، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) وإسناده حسن .

ومناسبة الحديث للباب : أنه دل على أن الغلو بقبور الصالحين باتخاذها مساجد سبب للغضب واللعن وأنه ذريعة إلى اتخاذها أوثاناً تعبد من دون الله عز وجل ., وإذا كان هذا في قبر خير البشر محمد □ فغيره من باب أولى.

قوله : [ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد أفرأيتم اللات والعزى قال : كان يلت السويق ، فمات فعكفوا على قبره ، وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس : كان يلت السويق للحاج[

"كان يلت لهم السويق " : السويق دقيق الحنطة أو الشعير , ولته : خلطه وبله بالسمن والماء .

"فمات فعكفوا على قبره " : فلما مات غلوا فيه وعظموه لأجل عمله الصالح الذي كان يعمله ، فعكفوا على قبره حتى عبدوه ، وصار قبره وثناً من أوثان المشركين .

ففي هذا الأثر أن سبب عبادة اللات هو الغلو في قبره بالعكوف عنده والإقامة حتى صار وثناً يُعبد .

قوله : [وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : [لعن رسول الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج) رواه أهل السنن]

الحديث حسنه العلامة الألباني رحمه الله .

" والمتخذين عليها المساجد " : فيه لعن المتخذين على القبور المساجد.

وهذا ثابت فيما تقدم في حديث أبي هريرة مرفوعاً : (اللهم لا تجعل قبري وثناً لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) وغيره من الأحاديث .

" والسرج " : فيه لعن المتخذين السرج على القبور ، وتقدم أن الحديث ضعيف لكن مقاصد الشريعة تدل على النهي عن اتخاذ السرج على القبور ، فهو بدعة في الدين لأنه لم يكن في عهد النبي ولا أصحابه ولأنه ذريعة إلى الشرك الأكبر فهو يؤدي إلى عبادتها من دون الله عز وجل .

ففي هذا الحديث نهى النبي عن الغلو في القبور ببناء المساجد عليها وإشعال السرج عليها وذلك لأنه يؤدي إلى تعظيم أصحابها فيصيرها أوثاناً تُعبد بالتعظيم .

باب ما جاء في حماية المصطفى جناب التوحيد وسده كل طريق إلى الشرك

الشريعة الإسلامية كما أتت بالنهي عن الشرك وتحريمه ؛ فإنها أيضاً أتت بسد الذرائع الموصلة إليه وهذه قاعدة الشريعة ؛ فإن الشارع إذا حرم شيئاً حرم الذرائع الموصلة إليه ومن هذه الذرائع الغلو في الصالحين ، وشد الرحال إلى القبور ، والدعاء عند القبور وغير ذلك فما نهى عنه الشارع حماية وحفاظاً لجناب التوحيد .

قوله : [وقول الله تعالى : لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم]هذه الآية في سياق امتنان الله على عباده المؤمنين .

 لقد جاءكم رسول من أنفسكم : أي من جنسكم وعلى لغتكم ، كما قال إبراهيم عليه السلام : ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم .

 عزيز عليه ما عنتم : أي يشق عليه الذي يشق عليكم .

 حريص عليكم : أي على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم ، فقد دلت هذه الآية على حرص النبي على هداية أمته غاية الحرص ومن حرصه على أمته أن سد الذرائع الموصلة إلى الشرك فحرم الغلو في الصالحين وبناء المساجد على القبور وغير ذلك لئلا تقع أمته بالشرك فصلوات الله وسلامه عليه .

قوله : [وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ، ولا تجعلوا قبري عيداً ، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم) رواه أبو داود بإسناد حسن ورواته ثقات]

"لا تجعلوا بيوتكم قبوراً " : أي لا تعطلوها ولا تُخلوها من الصلاة فيها والدعاء والقراءة فتكون بمنزلة القبور .

وهذا فيه أن القبور ليست محلاً للعبادة ، وعليه فاتخاذها لأي عبادة من العبادات بدعة في الدين ، وهي من الشرك الأصغر لأنها ذريعة إلى الشرك الأكبر .

"ولا تجعلوا قبري عيداً " : العيد تقدم تعريفه : وهو اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد إما بعود السنة أو بعود الشهر أو الأسبوع ونحو ذلك سواء كان زماناً أو مكاناً .

فقد نهى ﷺ أن يُتخذ قبره عيداً للصلاة والدعاء عنده حماية لجناب التوحيد وسداً لطرق الشرك .

" وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم " : أي إن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام علي يحصل مع قربكم من قبري وبعدكم عنه فلا حاجة إلى اتخاذه عيداً تتنابونه وتترددون إليه لأجل ذلك.

قال الحسن بن الحسن : " ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء ا.هـ .

قوله : [وعن علي بن الحسين رضي الله عنه : (أنه رأى رجلاً يجيء إلى فُرجة كانت عند قبر النبي ﷺ ... أين كنتم) رواه في المختارة]

هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بزين العابدين رحمه الله , وهو من فضلاء التابعين .

" فيدخل فيها فيدعو فنهاه " : وهذا يدل على النهي عن قصد القبور لأجل الدعاء والصلاة عندها وتقدم أن ذلك بدعة في الدين وهو شرك أصغر لكن بخلاف الدعاء لأهل القبور فذلك جائز بل هو مستحب .

أما أن يدعو لنفسه عند القبور ويعتقد أنها من أشرف المواضع وأنه يُستجاب فيها الدعاء فهو بدعة ولذا نص شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله على بدعية ذلك سواء كان قبر النبي ﷺ أو غيره وسواء كان مستقبل القبلة أم لا .

" ألا أحدثك حديثاً سمعته من أبي عن جدي " : أبوه الحسين بن علي وجده علي بن أبي طالب رضي الله عنهم .

باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

عقد المؤلف هذا الباب لبيان أن بعض هذه الأمة سيعبد الأوثان في جزيرة العرب وغيرها ، وهو من الشرك الأكبر .
وبذلك يُردّ على الشبهة التي أشاعها كثير من الأئمة المضلين وهي أن الأمة المحمدية لا يمكن أن تقع في الشرك الأكبر ، وأنها معصومة منه ويستدلون بقوله ﷺ : (إن الشيطان يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم) رواه مسلم .
قالوا : فدل هذا على أن أهل الجزيرة لا يمكن أن يقعوا في الشرك الأكبر ، فعلى ذلك لو عبدوا القبور فإن هذا ليس بشرك أكبر ، لأن أهلها معصومون من الشرك , وعليه فما يُعبد من الأوثان خارج هذه الجزيرة ليس بشرك أكبر لأنه مثله ، وهذا استدلال باطل ، فإن الحديث ليس فيه إلا أن الشيطان قد يئس أن يُعبد في جزيرة العرب وذلك لمَّا رأى دخول الناس في دين الله أفواجاً ولكن الواقع لا يلزم أن يكون موافقاً لما ظنه الشيطان بل إن الأمر وقع بخلافه .
ثم إن قوله : " يئس " فعل ، فهو دل على أنه يئس وليس فيه أنه على هيئة الدوام حتى تقوم الساعة ، بل هو قد يئس في ذلك الوقت ولا يعلم الغيب إلا الله تعالى .
ثم إن الأدلة قد دلت على وقوع عبادة الأوثان في جزيرة العرب ، كما ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال : (لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دَوْسٍ على ذي الخَلَصة) وذو الخَلَصة صنم لدوس في الجاهلية.
ومنها ما سيذكره المؤلف في هذا الباب من الأدلة .
قوله : [وقول الله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت] ﴾

ومناسبة الآية للترجمة : أنه إذا كان الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ، فهذه الأمة التي أوتيت القرآن لا يُستنكر ولا يُستبعد أن تعبد الجبت والطاغوت ، فإن الرسول قد أخبر أن هذه الأمة ستفعل مثل ما فعلت الأمم قبلها .
قوله : [وقوله تعالى : قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت]
الشاهد قوله : وعبدَ الطاغوت وهم اليهود ، وإذا كان اليهود قد عبدوا الطاغوت فكذلك يكون في هذه الأمة كما دل عليه الحديث الذي سيذكره المؤلف رحمه الله .

وقوله : [وقوله : قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً]
أي قال أصحاب الكلمة والنفوذ في زمن أصحاب الكهف لنتخذن عليهم مسجداً ، وهذا من طريقة الأمم السابقة وهو اتخاذ المساجد على القبور ، وإذا كان هذا واقع في الأمم السابقة فإنه سيقع في هذه الأمة كما دل عليه الحديث الآتي ذكره .
قوله : [وعن أبي سعيد : أن رسول الله قال : (لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضبٍ لدخلتموه) قالوا : يا رسول الله اليهود والنصارى قال : (فمن) أخرجاه]
" لتتبعن " : أي لتسلكن طرق من كان قبلكم .
" حذو القذة بالقذة " : القذة هي ريشة السهم ، والسهم له قذتان ، ومعلوم أن أحدهما تتبع الأخرى ، اتباعاً على هيئة الدوام والاستمرار وقد وقع هذا كما أخبر ، وهو علم من أعلام النبوة .
" حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلتموه " : أي لو تصور دخولهم جحر ضبّ مع ضيقه لدخلتموه لشدة سلوككم طريق من قبلكم , وفي مستدرك الحاكم : (حتى لو كان فيهم من يأتي أمه علانية لكان في أمتي من يفعل ذلك) .
" قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : فمن " : أي فمن هم غير أولئك .
" أخرجاه " : الحديث متفق عليه ولكن هذا اللفظ لفظ الإمام أحمد رحمه الله .
وأما لفظ الصحيحين مكان :"حذو القذة بالقذة" قال: " شبراً بشبر وذراعاً بذراع " .
فهذا الحديث فيه أن هذه الأمة تسلك طريق من كان قبلها من الأمم فيما ذمهم الله به ومن ذلك عبادة الأوثان ، وهذا هو الشاهد للترجمة ، وبه أيضاً تظهر مناسبة الآيات للترجمة كما تقدم.

وقد وقع في الأمم السابقة عبادة الطاغوت وبناء المساجد على القبور وعبادة القبور إلى غير ذلك ووقع ذلك في هذه الأمة ولا يزال .
قوله : [ولمسلم عن ثوبان أن رسول الله قال : (إن الله زوى لي الأرض ... ويسبي بعضهم بعضاً)]
" إن الله زوى لي الأرض " : أي طواها وقبضها .
"وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض " : الأبيض : هو كنز كسرى ملك الفرس ، والأحمر : هو كنز قيصر ملك الروم .
" بسنة بعامة " : السنة : الجدب الذي يكون به الهلاك العام .
" ولا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم " : أي من غيرهم من الكفار .
"فيستبيح بيضتهم " : أي ساحتهم وحوزتهم .
" حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً " : أي أن الله عز وجل لا يسلط الكفار على معظم المسلمين وجماعتهم ماداموا بضد هذه الأوصاف المذكورة " حتى يكون يهلك بعضهم بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً " فأما إذا وجدت هذه الأوصاف فقد يسلط الكفار على جماعتهم ومعظمهم .
قوله : [ورواه البرقاني في صحيحه ، وزاد : (وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين ، ... حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى)]

البرقاني : هو الإمام الحافظ الكبير أبو بكر أحمد بن محمد الخوارزمي الشافعي.
" وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين " : أي الأمراء والعلماء والعباد الذين يحكمون فيهم بغير علم فيضلوهم .
وعن زياد بن حُدير قال : قال لي عمر) : هل تعرف ما يهدم الإسلام ؟ قلت : لا ، قال : يهدمه زلة العالم ، وجدال المنافق بالكتاب ، وحكم الأئمة المضلين) رواه الدارمي بإسناد صحيح .
" وإذا وقع عليهم السيف لم يُرفع إلى يوم القيامة " : وكذلك وقع ، فإن السيف لما وقع بقتل عمر وعثمان لم يُرفع ، وكذلك يكون إلى يوم القيامة ولكن يكثر تارة ويقل أخرى ، ويكون في جهة ، ويرتفع في أخرى .
" ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين " : الحي : واحد الأحياء وهي القبائل .
"وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان " : الفئام هي الجماعات الكثيرة .
وهذا هو الشاهد للترجمة ففيه الرد على من قال بخلافه من عُبَّاد القبور الجاحدين لما يقع منهم الشرك بالله بعبادتهم الأوثان .
)وإنه سيكون من أمتي كذابون ثلاثون ، كلهم يزعم أنه نبي ، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي ، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة ، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى) : وفي الصحيحين أن النبي قال : (لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى) .
قال يزيد بن هارون وأحمد بن حنبل : " إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم " .

باب ما جاء في السحر

السحر لغة : ما خفي ولطف سببه .
واصطلاحاً : هو عزائم ورقى وعقد ينفث فيها , فتؤثر في القلوب والأبدان فتُمرض وتقتل وتُفرق بين المرء وزوجه – بإذن الله -.
ومنه ما هو حقيقة ومنه ما هو خيال .
فمثال الحقيقة قوله تعالى : فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ومثال الخيال قوله تعالى: يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى .
ومناسبة الكلام على السحر في كتاب التوحيد : أن السحر نوع من أنواع الشرك وذلك أن الساحر لا يتوصل إلى السحر إلا من طريق الشياطين ، والشياطين لا يمكن أن تُسّخَّر ما عندها من العلم بالسحر إلا بأن يقع من هذا الآدمي الشرك بالله سبحانه وتعالى بعبادة الشيطان والتقرب إليه .
فالسحر الذي هو كفر وشرك أكبر بالله عز وجل , هو الذي يكون باستخدام الشياطين والاستعانة بها لحصول أمر بواسطة التقرب لذلك الشيطان بشيء من أنواع العبادة .
قوله : [وقول الله تعالى : ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق]
أي ولقد علم أهل الكتاب الذين استبدلوا السحر عن متابعة الرسول والإيمان به.
" لمن اشتراه " : أي السحر ورضي به عوضاً عن الإيمان بالله وتوحيده .
" ما له في الآخرة من خلاق " : أي ما له من حظٍّ ولا نصيب .
وهذه الآية تدل على تحريم السحر .
وقد نص الإمام أحمد أنه يكفر بتعلم السحر وتعليمه .
والدليل على كفر الساحر قوله تعالى : وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يُعلمون الناس السحر وقال تعالى : وما يُعلمان من أحدٍ حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر .
أما ما يكون في بعض المواد من الخصائص المؤثرة تأثيراً خفياً يطلع عليه أهل الفيزياء ونحوهم وكذلك بعض التداخين ونحوهما مما ليس فيه استعانة بالشياطين فهذا يسمى سحراً لغة لكن ليس هو السحر المراد في هذا الباب .

==

وهذا النوع ليس كفراً بالله عز وجل وإن توصل به إلى الإيذاء كان محرماً ويعزر صاحبه .
قوله : [وقوله : ﴿ يؤمنون بالجبت والطاغوت ﴾ ، قال عمر الجبت : السحر ، والطاغوت : الشيطان]
قوله : [وقال جابر : (الطواغيت كهّان كان ينزل عليهم الشياطين في كل حيٍّ واحد)]
" كان ينزل عليهم الشيطان " : أي الشياطين ، ويخاطبونهم ، ويخبرونهم بما يسترقون من السمع فيصدقون مرة ويكذبون .
" في كل حيًّ واحد " : الحي واحد الأحياء وهم القبائل أي في كل قبيلة كاهن يتحاكمون إليه ويسألونه عن الغيب ، وكذلك كان الأمر قبل مبعث النبي ﷺ فأبطل الله ذلك بالإسلام .
ومطابقة الأثر للترجمة : أن الساحر طاغوت لأنه إذا أطلق على الكاهن طاغوت فالساحر من باب أولى لأن كليهما يدعي معرفة الغيب .
قوله : [وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا : يا رسول الله ، وما هن ؟ قال : الشرك بالله والسحر ... الغافلات المؤمنات)]
الحديث متفق عليه .
" الموبقات " : أي المهلكات ، وسُميت هذه موبقات ؛ لأنها تهلك فاعلها في الدنيا بما يترتب عليها من العقوبات وفي الآخرة من العذاب .
والشاهد قوله : " والسحر " فقد ذكر السحر من الموبقات ، وهذا يدل على أنه من أكبر الكبائر .
وعَطْف السحر على الشرك بالله من باب عطف الخاص على العام ، فعطف السحر على الشرك للتنصيص عليه ، والسحر من أفراد الشرك بالله عز وجل .
قوله : [عن جندب مرفوعاً : (حد الساحر ضربة بالسيف) رواه الترمذي ، وقال : الصحيح أنه موقوف]
هذا الحديث ضعيف مرفوعاً ، والصحيح أنه موقوف على جندب ﷺ كما رواه البيهقي وغيره .
وهو جندب الخير الأزدي ، وليس جندب بن عبدالله البجلي رضي الله عنهما .
" ضربة " : روي بالهاء والتاء وكلاهما صحيح .
وفي هذا الحديث أن حد الساحر القتل .
قوله : [وفي صحيح البخاري ، عن بجالة بن عبده قال : " كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أن اقتلوا كل ساحر وساحرة ، قال : فقتلنا ثلاث سواحر["
قوله : " أن اقتلوا كل ساحر وساحرة " : هذا رواه البخاري .
وأما قوله : " فقتلنا ثلاث سواحر " : فرواه أحمد وأبو داود بإسناد صحيح .
فهذا أثر عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ فيه الأمر بقتل كل ساحر وساحرة .
قوله : [وصحَّ عن حفصة أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقُتلت]
هذا الأثر رواه الإمام مالك بلاغاً ، ووصله البيهقي بإسناد صحيح , ففيه ثبوت قتل الساحر عن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها .
قوله : [وكذلك صحَّ عن جُندب]
رواه البخاري في تاريخه ورواه البيهقي وغيرهما وهو صحيح عنه .
قوله : [قال أحمد : عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ]
أي جاء قتل الساحر عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ وهم عمر وحفصة وجندب رضي الله عنهم أجمعين , ولا يُعلم لهؤلاء الصحابة مخالف . وفي هذه الآثار أن حد الساحر هو القتل لكن اختلفوا هل يُقتل ردةً أو حداً .
والصحيح من أقوال أهل العلم أنه يُقتل ردةً .وظاهر أقوال الصحابة أن الساحر يُقتل من غير استتابة – ان كان سحره كفرا - وهو مذهب الإمام أحمد ومالك كما هو ظاهر أثر عمر رضي الله عنها ، وذلك لأنه قد يدعي ترك السحر وهو في الباطن كاذب ، لكن إن تاب فإن توبته تُقبل بينه وبين الله أما في الحكم الظاهر فإنه يُقتل , هذا إن تاب بعد القدرة عليه أي بعد أن يتمكن منه السلطان .
وان كان سحره دون الكفر : قُتل قتل الصائل أي قتل لدفع أذاه وفساده في الارض .

باب بيان شيء من أنواع السحر

عقد المؤلف هذا الباب لبيان شيء من أنواع السحر ؛ لأن من أنواع السحر ما هو شرك أكبر بالله عز وجل وهو المراد إذا أطلق وهذه هي الحقيقة العرفية , ومنه ما ليس شركاً أكبر أي يصدق عليه أنه سحر إما من حيث اللغة لكونه قد لطف وخفي سببه ، أو أن يكون له تأثير كتأثير السحر وإن لم يحكم بكفر فاعله .

وذلك أنه قد أتى في النصوص ذكر السحر ، ولا يراد منه السحر الذي يكون شركاً بالله تعالى ، فإن اسم السحر عام في اللغة ، يدخل فيه الاسم الخاص الذي منه استعمال للشياطين وعبادتهم ، وقد يكون بأشياء أخرى يُطلق عليها الشارع أنها سحر وليست كالسحر الأول في الحقيقة ولا في الحكم .

والتفريق بين هذه الأنواع مهم حتى يميز بين نوع وآخر , وحديث : (حد الساحر ضربة بالسيف) لا ينطبق على كل هذه الأنواع لأنه سحر لغةً وليس شرعاً .

قوله : [قال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا عوف بن حيان بن العلاء ، حدثنا قطن بن قبيصة ، عن أبيه ، أنه سمع النبي ﷺ قال : (إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت) قال عوف : ... وابن حبان في صحيحه المسند منه **]**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : إسناده حسن .

" العيافة زجر الطير " : أي زجره للتفاؤل أو التشاؤم .

" والجبت قال الحسن رنة شيطان " : أي صوت الشيطان ووحيه ؛ لأن الشيطان يدعو إلى السحر وغيره من المحرمات بصوته .

قوله : [وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (من اقتبس شُعبة من النجوم فقد اقتبس شُعبةً من السحر ، زاد ما زاد) رواه أبو داود وإسناده صحيح]

الحديث إسناده صحيح .

" من اقتبس " : أي تعلم .

" شعبة من النجوم " : أي طائفة من علم النجوم وهو أي علم النجوم : " الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية " , وسيأتي الكلام عليه في بابه إن شاء الله تعالى .

" فقد اقتبس شعبة من السحر ، زاد ما زاد " : يعني كلما ازداد في تعلم علم النجوم كلما ازداد في تعلم السحر ، وكلما ازداد في تعلم السحر كلما ازداد إثماً وخطأً وجرماً ..

قوله : [وللنسائي من حديث أبي هريرة : (من عقد عقدة ، ثم نفث فيها فقد سحر ، ومن سحر فقد أشرك ، ومن تعلَّق شيئاً وكل إليه)]

هذا الحديث من حديث الحسن البصري عن أبي هريرة ولم يسمع منه وفيه عباد بن ميسرة ، وهو لين الحديث ، فالحديث إسناده ضعيف لكن معناه صحيح تشهد له الأدلة الأخرى .

" من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر " : كما قال تعالى : ﴿ومن شر النفاثات في العقد ﴾وهن السواحر والمقصود بالنفث هنا : النفث الذي فيه استعانة بالشياطين .

والسحرة إذا أرادوا عمل السحر عقدوا الخيوط ونفثوا على كل عقدة حتى ينعقد كل ما يريدون من السحر , ويكون نفثهم بأدعية معينة ورقى شركية وتعويذات وكلام تحضر الجن عند تلاوته وتخدم هذه العقدة السحرية .

" ومن سحر فقد أشرك " : لأنه لا يأتي السحر بدون شرك .

"ومن تعلق شيئاً وكل إليه " : تقدمت هذه العبارة في حديث سابق .

فمن تعلَّق على ربه وإلهه وسيده ومولاه رب كل شيء ومليكه كفاه ووقاه ، وحفظه وتولاه ، ومن تعلَّق على السحرة والشياطين وغيرهم من المخلوقين وكله الله إلى من تعلَّق به فهلك .

قوله : [وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : (ألا هل أنبئكم ما العَضه ؟ هي النميمة ، القالة بين الناس) رواه مسلم]

العضه : بفتح العين وتسكين الضاد هكذا ضبطها المحدِّثون وضبطها أهل اللغة بكسر العين " العِضَة" وهو يطلق على معان منها السحر , وقد فسرها النبي ﷺ بقوله : " هي النميمة القالة بين الناس "

والنميمة تُفرِّق بين الناس قال يحي بن أبي كثير:(يُفسد النمام والكذاب في ساعة ما لا يُفسده الساحر في سنة) .
وتأثير النميمة على القلوب خفي حيث إنه يقصد الأذى بكلامه وعمله على وجه المكر والحيلة فأشبهت السحر , والمراد السحر لغة ، لكن ليست كالسحر في حقيقته وحكمه .
قوله : [ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (إن من البيان لسحراً)]
أي إن من الفصاحة والبلاغة ، فإنها تؤثر في النفس تأثيراً عظيماً يشبه تأثير السحر ، وكما قال بعضهم :

في زخرف القول تزيين لباطله والحق قد يعتريه سوءُ تعبير

فالقول إذا زخرف زين الباطل وحسَّنه ، والحق الصحيح قد يأتي به صاحبه بأسلوب ضعيف .
وهذا ضرب من السحر لأنه تأثير خفي على النفوس بالألفاظ ، هذا التأثير الخفي يقلب الحق باطلاً ، ويقلب الباطل حقاً ، وتأثيره خفي كتأثير السحر ، لذلك قال ﷺ : (إن من البيان لسحراً)
وظاهر الحديث الذم لكن ذلك حيث توصل به إلى إبطال الحق وإحقاق الباطل .

باب ما جاء في الكهان ونحوهم

ونحوهم " : كالمنجمين والرمالين والعرافين وغيرهم .
" الكاهن " : هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل .
والكاهن ونحوه ممن يدعي الغيب : كافر ، لأنه يدعي علم الغيب فهو مكذِّب للقرآن في قوله سبحانه : ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ﴾ أولاً.
وثانياً : لأن الجن لا تخدمه إلا بعد أن يتقرب إليها بالشرك بالله عز وجل .
قوله : [روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ : (من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه ، لم يُقبل له صلاة أربعين يوماً)]
" عن بعض أزواج النبي ﷺ " : هي حفصة رضي الله عنها .
ولفظة : " فصدقه " : ليست في مسلم ، وهي ثابتة في مسند أحمد .
" لم تقبل له صلاة أربعين يوماً " : أي لا ثواب له فيها وإن كانت مجزئة عنه وقد اتفق العلماء على أنه لا يجب عليه إعادتها .
قوله : [وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : (من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد) رواه أبو داود]
هذا الحديث فيه انقطاع بين أبي تميمة وأبـي هريرة ﷺ ، لكن الحديث له شواهد يرتقي بها إلى درجة الصحة ، ومن شواهده الحديث الذي بعده .
قوله : [وللأربعة والحاكم ، وقال : صحيح على شرطهما عن أبي هريرة ﷺ : (من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ) ولأبي يعلى بسندٍ جيد عن ابن مسعود ﷺ مثله موقوفاً]
الحديث حديث صحيح .
والأثر الذي بعده صحيح ولفظه : (من أتى كاهناً أو ساحراً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ)
هذه الأحاديث فيها حكم الذهاب إلى الكُهَّان ونحوهم وهو على ثلاثة أحوال :
الحال الأول: أن يسأله سؤالا مجردا; فهذا حرام لقول النبي صلى الله عليه وسلم " من أتى عرافا "؛ فإثبات العقوبة على سؤاله يدل على تحريمه; إذ لا عقوبة إلا على فعل محرم.

الحال الثانية : أن يسأله فيصدقه، ويعتبر قوله; فهذا كفر لأن تصديقه في علم الغيب تكذيب للقرآن، حيث قال تعالى: {قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ} 3.

الحال الثالثة : أن يسأله ليختبره: هل هو صادق أو كاذب، لا لأجل أن يأخذ بقوله; فهذا لا بأس به، ولا يدخل في الحديث. وقد سأل النبي صلى الله عليه وسلم ابن صياد; فقال: " ماذا خبأت لك؟ قال: الدخ. فقال: اخسأ; فلن تعدو قدرك " فالنبي صلى الله عليه وسلم سأله عن شيء أضمره له; لأجل أن يختبره، فأخبره به.

قوله : [وعن عمران بن حُصين مرفوعاً : (لي منا من تطير أو تُطير له ...) رواه البزار بإسناد جيد]
" ليس منا " : فيه وعيد شديد على أن هذه الأمور من الكبائر .
فكل من تلقى هذه الأمور عمن تعاطاها فقد برئ منه رسول الله ﷺ لكونها إما شرك كالطيرة ، أو كُفر كالكهانة والسحر فمن رضي بذلك وتابع فهو كالفاعل ، لقبوله الباطل واتباعه فإن كان خارجاً بذلك من الملة فقد برئ منه رسول الله ﷺ البراءة التامة ، وإن لم يكن كذلك ، فإن له نصيباً من البراءة .
قوله : [ورواه الطبراني بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله : (ومن أتى) إلى آخره]
الحديث إسناده حسن كما قال الإمام رحمه الله .

قوله : [قال البغوي : العراف : الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك ، وقيل هو الكاهن : هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل ، وقيل : الذي يخبر عما في الضمير]

ظاهره : أن العراف هو الذي يخبر عن الأمور الواقعة كالسرقة ، وسارقها والضالة ومكانها ونحو ذلك . وأما الكاهن فهو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل .
قوله : [وقال أبو العباس ابن تيمية : العراف اسم للكاهن المنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق]
هو في الفتاوى مقدماً بـ" قيل " فهو قول محكي وليس هو قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى. فهؤلاء داخلون في اسم العراف .
والمقصود من هذا : معرفة من يدعي معرفة علم شيء من المغيبات فهو إما داخل في اسم الكاهن ، وإما مشارك له في المعنى فيلحق به .
قوله : [وقال ابن عباس : في قوم يكتبون " أباجاد " وينظرون في النجوم ، ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق]
هذا الأثر صحيح عن ابن عباس رواه عنه عبدالرزاق في مصنفه وقد رُوي مرفوعاً ولا يصح .
" يكتبون أباجاد " : أي يدعون بها علم الغيب وهو الذي يسمى علم الحرف وهو الذي فيه الوعيد ، وأما تعلمها للتهجي وحساب الجمل فلا بأس .
" وينظرون في النجوم " : أي يعتقدون أن لها تأثيراً في الكون كما سيأتي في بابه .
" ما أرى من فعل ذلك " : يجوز فتح الهمزة بمعنى : لا أعلم ، ويجوز ضمها بمعنى لا أظن .
" له عند الله من خلاق " : أي من حظ ونصيب .

باب النشرة

من نشر الشيء إذا فرقه ، والنشرة ضرب من العلاج والرقية يعالج به من يظن أن به سحراً أو مساً من الجن .
والمراد بها : حل السحر عن المسحور .
قوله : [عن جابر أن رسول الله سُئل عن النشرة ، فقال : (هي من عمل الشيطان) رواه أحمد بسند جيد وأبو داود]
هذا الحديث إسناده جيد كما قال الإمام رحمه الله تعالى .
وقوله : " سئل عن النشرة " الألف واللام للعهد : أي النشرة المعهودة ، التي كان أهل الجاهلية يصنعونها فقال :)هي من عمل الشيطان) وذلك لأنهم ينشرون عن المسحور بأسماء واستخدامات شيطانية أي بسحر مثله فهذه حرام بالاتفاق .
" وقال سئل أحمد عنها : فقال ابن مسعود يكره هذا كله " أراد رحمه الله أن ابن مسعود يكره النشرة التي هي من عمل الشيطان ، كما يكره تعليق التمائم مطلقاً .
قوله : [وفي البخاري عن قتادة قال : قلت لابن المسيب : رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته ، أيحل عنه أو ينشر ؟ قال : لا بأس به ، إنما يريدون به الإصلاح ، فأما ما ينفع فلم ينه عنه . انتهى]
" رجل به طب " : أي سحر ، كنّوا عن السحر بالطب تفاؤلاً ، كما يُقال للديغ : سليم .
" أو يؤخَّذ عن امرأته " : أي يُحبس عن امرأته ولا يصل إلى جماعها .
" لا بأس به إنما يريدون به الإصلاح " : أي أن النشرة لا بأس بها لأنهم يريدون منها الإصلاح أي إزالة السحر .
" فأما ما ينفع فلم ينه عنه " : أي أما ما ينفع من الأدوية المباحة والرقى والتعوذات الشرعية والدعوات المباحة فلم ينه عنه .
فهذا من ابن المسيب يحمل على نوع من النشرة لا يعلم أنه سحر .
قوله : [وروي عن الحسن أنه قال : (لا يحل السحر إلا ساحر)]
رواه ابن جرير الطبري في تهذيب الآثار كما ذكره الحافظ ابن حجر أي لا يحل السحر بغير الطرق الشرعية المعروفة إلا ساحر .
ومعلوم أن السحر لا ينعقد أصلاً إلا أن يتقرب الساحر إلى الجني بالشرك بالله عز وجل كذلك حل السحر لابد فيه لإزالة سببه لابد فيه من أن يشرك بالله عز وجل باستغاثة أو نحوها لرفع ذلك السحر.
قوله : [قال ابن القيم رحمه الله : النشرة حل السحر عن المسحور وهي نوعان : حل بسحر مثله ، وهو الذي من عمل الشيطان وعليه قول الحسن ، فيتقرب الناشر – الساحر – والمنتشر – المسحور – إلى الشيطان بما يحب فيبطل عمله عن المسحور]
فإن قيل هو من باب الضرورة.

فالجواب :أن حفظ الدين أعظم أو أعلى مرتبة من حفظ النفس ثم إن الله عز وجل لم يجعل شفاء أمة محمد فيما حرم عليها كما قال) : إن الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها) ثم إن هذا الداء يمكن أن يقع به الشفاء ويمكن ألا يقع به الشفاء ، فليس من الضرورة في شيء بخلاف أكل الميتة فإنه يقطع بأنه يدفع المجاعة عن المضطر .
قوله : [والثاني : النشرة بالرقية والتعوذات والدعوات والأدوية المباحة فهذا جائز]

باب ما جاء في التطير

التطير : هو التشاؤم بما يقع من المرئيات أو المسموعات من الطيور ونحوها , وسميت طيرة لأن غالب التشاؤم في الجاهلية كان بالطيور .
فقد كانوا إذا أراد الواحد منهم سفراً أو نحوه زجر الطير فإن ذهبت يمنة تفاءل ، وإن ذهبت يسرة تشاءم .
وقد عقد المؤلف رحمه الله هذا الباب لبيان أنه من الشرك المنافي لكمال التوحيد ؛ وذلك لكونه من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته , ولما فيه من ضعف التوكل , وتعلق القلب بغير الله خوفاً وطمعاً واعتقاد نفع أو ضر بسبب طائر ونحوه , فالتطير يفتح على الإنسان باب الخوف والوسوسة والقلق .
وضابط التطير : هو ما أمضاك أو ردك , فهي التي تقع في القلب ويبني عليها الإنسان إما مضياً في الأمر أو تراجعاً عنه .
فإذا خرج مثلاً يريد السفر فرأى حادثاً في أول الطريق فتراجع عن السفر بسبب هذا الأمر كان ذلك من التطير .

قوله : [وقول الله عز وجل ﴿ ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾]
هذا في قوم موسى ، حيث قال الله فيهم : ﴿فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه – أي نحن الجديرون بها – وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ﴾فقال سبحانه : ﴿ألا إنما طائرهم عند الله ﴾أي إنما نصيبهم وحظهم من الحسنة والسيئة كلها من عند الله عز وجل فهو المقدر للأشياء كلها .
ويصح في تفسيرها : ألا إنما شؤمهم الحقيقي وسيئتهم الحقيقة عند الله يوم القيامة من أليم عقابه الذي أعده لهم , وكلا التفسيرين صحيح تحتمله الآية .

قوله : [وقوله : ﴿ قالوا طائركم معكم ﴾]
أي حظكم وما نابكم من شرٍ معكم ، بسبب أفعالكم وكفركم ومخالفتكم الناصحين فليس هو من أجلنا ولا بسببنا ، بل ببغيكم وعدوانكم .
وقوله سبحانه : ﴿ قالوا ﴾ : أي قال الأنبياء لقومهم .
ومناسبة الآيتين للباب : أن التطير من عمل أعداء الرسل ومن خصال المشركين وقد ذمهم الله به ومقتهم ، وهذا يدل على أنه أمر مذموم .

قوله : [عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر) أخرجاه زاد مسلم : (ولا نوء ، ولا غُول)]
" لا عدوى " : هنا نفي النبي ﷺ العدوى وهي انتقال المرض من المريض إلى السليم .
وقد ثبت في مسلم أن النبي ﷺ قال : (لا يورِد مُمْرِض على مُصح) .
وفي البخاري معلقاً ووصله أبو نُعيم أن النبي ﷺ قال : (فر من المجذوم فرارك من الأسد) ، فهذان الحديثان فيهما إثبات العدوى ، فهما يعارضان حديث الباب ظاهراً .
والجمع بينهما أن يُقال : إن نفي العدوى في قوله : " لا عدوى " إنما هو على الوجه الذي يعتقده أهل الجاهلية ، من إضافة الفعل إلى غير الله عز وجل ، وأن الأمور تتعدى بطبعها .
وأثبتتها الشريعة على أنها أمر يجعله الله عز وجل سبباً لحدوث ذلك أي انتقال المرض .

ولذا ثبت في بعض روايات حديث الباب : أن أعرابياً قال : يا رسول الله فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء فيجيء البعير الأجرب فيدخل فيها فيُجربها قال : (فمن أعدى الأول) .
ولذا فإن مجانبة أهل الأمراض المعدية من التوكل على الله ، ولذا أمر النبي : ألا يورد ممرض على مصح ، وقال) : فرَّ من المجذوم فرارك من الأسد) فعلى ذلك يكون معنى الحديث : لا عدوى مؤثرة بذاتها .
" ولا طيرة " : هي التطير وتقدم معناها ، والمراد نفي ذلك وإبطاله كما كان يعتقده أهل الجاهلية , أي لا طيرة مؤثرة : والنفي هنا أبلغ من النهي ؛ لأنه نفي لأثرها وإبطال لها .
" ولا هامة " : بتخفيف الميم وهي طير من طيور الليل ، وقد كانوا يتشاءمون بها إذا وقعت على بيت أحدهم .
" ولا صفر " : وهو شهر صفر المعروف ، وكان أهل الجاهلية يتشاءمون به فيمتنعون من السفر ونحوه عند دخوله . وهذا من جنس الطيرة المنهي عنها .
" ولا نوء " : هو واحد الأنواء ، وسيأتي الكلام عليه في بابه إن شاء الله .
" ولا غُول " : جنس من الجن والشياطين ، كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراء للناس، تتلون ألواناً في صور شتى فتضلهم عن الطريق وتهلكهم ، فنفاه النبي . فيكون المعنى " لا غول " أنها لا تستطيع أن تُضل أحداً مع ذكر الله عز وجل والتوكل عليه .
وليس فيه نفي الغول من أصله بل قد صح عن عمر أنه قال : (إن خلق الله عز وجل لا يغيره أحد ولكن منهم – أي من الجن – سحرة كسحرتكم فمن رأى شيئاً من ذلك فليؤذن) رواه عبدالرزاق في مصنفه.
والشاهد من هذا : قوله :) : ولا طيرة) ففيه نفي الطيرة .

قوله : [قال رسول الله : (لا عدوى ولا طيرة ، ويُعجبني الفأل) قالوا : وما الفأل ؟ قال : (الكلمة الطيبة)]
بين النبي أن الفأل يعجبه ، فدل على أنه ليس من الطيرة المنهي عنها .
فالإنسان عندما يريد الإقدام على أمرٍ فيسمع كلمة طيبة فهذا يجعله يستبشر بحصول الخير ونحو ذلك مما فطره الله في القلوب عند سماع هذه الكلمات وهو ليس من الطيرة في شيء .
وفي الترمذي وصححه أن النبي) : كان إذا خرج لحاجته يحب أن يسمع يا نجيح يا راشد) .
وفي سنن أبي داود بسند حسن ، أن النبي) : كان إذا أرسل رسولاً سأله عن اسمه فإن أعجبه سُرَّ بذلك ، وإن كرهه رؤي ذلك في وجهه ، وإن نزل قرية سأل عن اسمها فإن أعجبه سُرَّ بذلك وإن كرهه رؤي ذلك في وجهه) وإنما كان يعجبه الفأل ، لأن التشاؤم سوء ظن به سبحانه لغير سبب محقق , والتفاؤل حسن ظن بالله عز وجل ، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال .

قوله : [ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال :(ذكرت الطيرة عند رسول الله ... ولا قوة إلا بك)]
هذا الحديث هو في سنن أبي داود وغيره عن عروة بن عامر وهو مختلف في صحبته .
قوله : " أحسنها الفأل " : تقدم أن الفأل من الطيرة وهو خيرها فأبطل الطيرة وأخبر أن الفأل منها ولكنه خير منها ، ففصل بين الفأل والطيرة ، لما بينهما من الامتياز والتضاد ، ونفع أحدهما ومضرة الآخر .
ونظير هذا منعه من الرقى بالشرك وإذنه في الرقية إذا لم يكن فيها شرك لما فيها من المنفعة الخالية من المفسدة .

قوله : [وله من حديث ابن مسعود مرفوعاً : (الطيرة شرك ، الطيرة شرك ، وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل) رواه أبو داود والترمذي وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود]
هذا الحديث صحيح ، لكن لفظه : " وما منا ولكن الله يذهبه بالتوكل " مدرجة من كلام ابن مسعود كما قرر هذا البخاري وغيره .
فالطيرة شرك بالله عز وجل ، ومنها ما يكون شركاً أكبر ومنها ما يكون شركاً أصغر .

فإن اعتقد أن هذا الشيء المتشاؤم به يفعل ذلك بنفسه وأنه يضر وينفع بنفسه فهو شرك أكبر . وإن اعتقد أنه سبب من الأسباب وأن الطبيعة جرت بذلك فهو شرك أصغر .
" وما منا إلا " : أي إلا ويقع في قلبه شيء من ذلك .
" ولكن الله يذهبه بالتوكل " : أي لكن لما توكلنا على الله في جلب المنافع أو دفع المضار أذهبه الله عنا بتوكلنا عليه وحده .

قوله : [ولأحمد من حديث ابن عمر : (من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك ... ولا إله غيرك)] الحديث حسن بشاهده وفيه أن من ردته الطيرة عن حاجته فقد وقع في الشرك كما تقدم وكفارة ذلك أن يقول : " اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك " فإذا قال ذلك وأعرض عما وقع في قلبه ولم يلتفت إليه ، كفَّر الله عنه ما وقع في قلبه.

قوله : [وله من حديث الفضل بن العباس : (إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك)]
هذا الحديث إسناده ضعيف لأن فيه انقطاعاً بين مسلمة الجهني الراوي عن الفضل ﷺ , لكنه ضابط صحيح دلت عليه الأدلة المتقدمة .
وهذا حد الطيرة المنهي عنها ، فهي ما يحمل الإنسان على المضي فيما أراده ويمنعه من المضي فيه كذلك .
وأما الفأل الذي كان يحبه النبي ﷺ فإن فيه نوع بشارة ، فيسر به العبد ولا يعتمد عليه ، بخلاف ما يمضيه أو يرده فإن للقلب عليه نوع اعتماد فهذا هو الفرق بينهما .

باب ما جاء في التنجيم

التنجيم : هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية كأن يقول المنجم : طلوع النجم الفلاني فيه موت عظيم ونحو ذلك ، وهذا هو التنجيم المذموم المحرم الذي هو من أنواع الكهانة والسحر .

والتنجيم ثلاثة أنواع :

1- النوع الأول : اعتقاد أن النجوم فاعلة مؤثرة بنفسها وأن الحوادث الأرضية ناتجة عنها وعن إرادتها ، وهذا تأليه للنجوم وهو الذي كان يفعله الصابئة ، وهذا بالإجماع كفر أكبر وشرك أكبر.
2- النوع الثاني من أنواع التنجيم**:** وهو ما يسمى بعلم التأثير ، وهو الاستدلال بحركات النجوم على ما سيحصل في الأرض . وهذا النوع من الكِهانة ، لأن فيه إخبار عن الأمور المغيبة . وهذا النوع محرم وكبيرة من كبائر الذنوب وهو كفر بالله جل وعلا لأن النجوم ما خُلقت لذلك كما سيأتي .
3- النوع الثالث : مما يدخل في اسم التنجيم ما يسمى بعلم التسيير وهو أن يعلم النجوم وحركات النجوم لأجل أن يعلم القبلة والجهات والأوقات وما يصلح من الأوقات للزرع ما لا يصلح ، والاستدلال بذلك على وقت هبوب الرياح وسقوط الأمطار ونحو ذلك .

فهذا جائز وذلك لأنه يجعل حركة النجوم والتقاءها وافتراقها ، ونحو ذلك وقتاً وزمناً على حصول الشيء ولا يجعله سبباً فيجعل هذه النجوم علامة على زمن يصلح فيه كذا وكذا ونحو ذلك .

والله عز وجل قد جعل النجوم علامات كما قال تعالى : ﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون . ﴾

قوله : [قال البخاري في صحيحه : قال قتادة : " خلق الله هذه النجوم لثلاثٍ ... ما لا علم له به " انتهى]

قتادة : هو ابن دعامة السُدوسي : وهو من خيار التابعين ومن أئمة المسلمين في تفسير القرآن.

وفي هذا الأثر أن النجوم خُلقت لثلاث :

1- زينة للسماء .
2- رجوماً للشياطين ، فيرجم الله الشياطين بالشهب من النجوم قال تعالى : ﴿وزينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين . ﴾
3- علامات يهتدي بها الناس في طرق البر والبحر لمعرفة الجهات ، والمصلي يهتدي بها لمعرفة القبلة ، فيهتدي بها الناس لمعرفة الفصول قال تعالى : ﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون . ﴾

" فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به " : أي من زعم شيئاً من ذكر الله به من سلطان ، وأضاع نصيبه من كل خير لأنه أشغل نفسه بما يضره ولا ينفعه .

قوله : [وكره قتادة تعلم منازل القمر ، ولم يرخص ابن عيينة فيه ، ذكره حربٌ عنهما ، ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق]

للقمر في الشهر ثمانية وعشرون منزلاً ، ينزل في كل ليلة منزلاً سوى ليلة تسع وعشرين وليلة ثلاثين فإنه لا يظهر فيهما .

وأهل الخبرة يعرفون هذا ليستدلوا به على الجهات ونحو ذلك فهل هذا جائز أم لا ؟

1- كرهه قتادة – أي تعلم منازل القمر – ولم يرخص سفيان ابن عيينة فيه كما ذكره حرب عنهما ، وهو من أصحاب الإمام أحمد .
2- ورخص في تعلم منازل القمر أحمد ، وإسحاق بن راهويْة وهو الراجح إذ لا محذور فيه .

قوله : [عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله : (ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن خمر ، وقاطع رحم ، ومصدق بالسحر) رواه أحمد وابن حبان في صحيحه]
الحديث حديث حسن .
وجه الاستدلال من هذا الحديث قوله : " ومصدق بالسحر " وقد تقدم أن التنجيم نوع من أنواع السحر كما تقدم في قوله) : من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد) .
وإذا صدق بالنجوم فإنه مصدق بالسحر والمصدق بالسحر لا يدخل الجنة ، وهذا هو مناسبة إيراد الحديث تحت هذا الباب .

باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

الاستسقاء : طلب السقيا ، والأنواء جمع نوء وهي النجوم .
والمراد : نسبة السقيا نزول المطر إلى النجوم .
وقد كان العرب والجاهليون ، يعتقدون أن النجوم والأنواء سبب في نزول المطر .
والاستسقاء بالنجوم نوع من التنجيم لأنه نسبة السقيا إلى النجم .
قوله : [وقوله تعالى : وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون]
يصح في هذه الآية تفسيران :

1- الأول : تجعلون شكر نعمة المطر أنكم تكذبون فتنسبون المطر إلى غير الله , فالرزق هنا هو المطر .
2- الثاني : تجعلون رزق الله الذي رزقكم به -وهو نزول القرآن عليكم - تجعلون شكر هذه النعمة هو التكذيب فتدعون أنها كهانة أو شعر أو من وضع محمد ، وكلا المعنيين صحيح والآية تشمل المعنيين .

إذن هذه الآية فيها ذمٌ من الله تعالى لمن يجعل شكر نعمة المطر وغيره : هو التكذيب بها ونسبتها إلى غير الله عز وجل .
قوله : [وعن أبي مالك الأشعري أن رسول الله قال : (أربع في أمتي ... من جرب) رواه مسلم]
والمراد بالجاهلية هنا : ما قبل مبعث النبي سمو بذلك لفرط جهلهم .
وكل ما يخالف ما جاء به الرسول فهو جاهلية .
وقد أخبر النبي أن هذه الأشياء من أمر الجاهلية ، وهذا يقتضي أن كل ما كان من أمر الجاهلية وفعلهم فهو مذموم في دين الإسلام .
" الفخر بالأحساب " : أي التعاظم على الناس بالآباء ومآثرهم .
" والطعن في الأنساب " : أي الوقوع في الأنساب بالعيب والتنقص .
" والاستسقاء بالنجوم " : أي نسبة السُقيا أي المطر إلى النجوم ، كأن يقولون مُطرنا بنوء كذا وكذا .
وهذا لا يخلو إما أن يعتقد أن النجم له تأثير في نزول المطر فهذا شرك وكفر أكـــبر بالإجماع ، وهو الذي يعتقده أهل الجاهلية كاعتقادهم أن دعاء الميت والغائب يجلب لهم نفعاً أو يدفع عنهم ضراً أو أنه يشفع لهم بدعائهم إياه ، فهذا هو الشرك الذي بعث الله رسوله بالنهي عنه وقتال من فعله .
وإما أن يقول : مطرنا بنوء كذا وكذا ، لكن مع اعتقاده أن المؤثر هو الله وحده ، لكنه أجرى العادة لوجود المطر عند سقوط ذلك النجم ، فهذا محرم وهو شرك أصغر لأنه نسب ما هو من فعل الله الذي لا يقدر عليه غيره نسبه إلى غيره سبحانه وتعالى .
" والنياحة " : هي ذكر محاسن الميت مع البكاء عليه ورفع الصوت بذلك على وجه التسخط وهي من كبائر الذنوب.
)والنائحة إذا لم تتب قبل موتها ... وعليها سربال من قطران) ، السربال : واحد السرابيل : وهي الثياب والقمص.

والقطران : هو النحاس المذاب .
" ودرع من جرب " : الدرع الثوب ينسج من حديد يُلبس في الحرب وقاية من سلاح العدو .
قوله : [ولهما عن زيد بن خالد الجهني قال : صلى لنا رسول الله صلاة الصبح ... مؤمن بالكوكب]
" صلى لنا " أي صلى بنا .
" أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر " : إذا اعتقد أن للنوء تأثيراً في إنزال المطر فهذا كفر أكبر لأنه شرك في الربوبية , وإن لم يعتقد ذلك فهو من الشرك الأصغر – كما تقدم – لكونه نسب النعمة إلى غير مُسديها وهو الله سبحانه وتعالى .
قوله : [ولهما من حديث ابن عباس بمعناه وفيه قال بعضهم : لقد صدق نوء كذا وكذا فأنزل الله هذه الآية : فلا أقسم بمواقع النجوم إلى قوله : وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون [والحديث إنما هو في مسلم فقط .

باب قول الله تعالى : ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ... الآية

هذا الباب وأبواب بعده شروع من الإمام المجدد في ذكر العبادات القلبية ومنها عبادة المحبة الخاصة التي لا تصلح إلا لله عز وجل وهي :
محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع وكمال الطاعة وإيثاره على غيره ، وهذه المحبة لا يجوز تعليقها بغير الله أصلاً .
ومتى أحب العبد بها غير الله تعالى كان مشركاً شركاً أكبر .
ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً : أي أشباهاً ونظراء .
يحبونهم كحب الله : أي كما يحبون الله فقد أثبت لهم محبة الله لكنها محبة شركوا فيها مع الله تعالى أندادهم .
والذين آمنوا أشد حباً لله **:** من محبة أهل الأنداد لله عز وجل .
فدلت هذه الآية على أن من أحب شيئاً كحب الله فقد اتخذه نداً لله .
وهناك محبة ليست محبة عبودية وهي محبة طبيعية .
فمنها محبة الإجلال كمحبة الولد لوالده .
ومنها محبة الإشفاق كمحبة الوالد لولده .
ومحبة الألفة كمحبة الزوجة والصديق ونحو ذلك .
ومنها محبة بعض الأطعمة , فهذه لا محذور فيها في الأصل , فإن أعانت على ما يحبه الله صارت من العبادات وإن صدت عما يحب الله تعالى كانت من المحرمات .

قوله:[وقوله : قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم إلى قوله : أحب إليكم من الله ورسوله **[**
أمر الله نبيه محمداً أن يتوعد من أحب هذه الثمانية أشياء المذكورة في آية التوبة : أهله وماله وعشيرته ، وتجارته ومسكنه فآثرهما على فعل ما أوجبه الله عليه من الأعمال التي يحبها الله ويرضاها من الهجرة والجهاد ونحو ذلك أن يتوعده بالعقاب ، وحكم عليهم بالفسق والضلال .
وهذا يدل على أن تقديم محبة غير الله ، على محبة الله كبيرة من الكبائر لأن الله توعد عليه وحكم على فاعله بالفسق والضلال .
فالواجب لتكميل التوحيد أن يحب العبدُ الله ورسوله فوق كل محبوب .

قوله : [وعن أنس قال : قال رسول الله : (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين) أخرجاه]
أي لا يؤمن أحدكم الإيمان الكامل حتى يكون الرسول أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين ، بل ولا يحصل له هذا الكمال إلا بأن يكون الرسول أحب إلى العبد من نفسه كما في الحديث : أن عمر قال : لأنت يا رسول الله أحب إلي من كل شيء إلا نفسي ، فقال) : والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك) فقال له عمر : فإنك الآن أحب إلي من نفسي فقال : (الآن يا عمر) رواه البخاري .

==
====
ومحبة النبي تقتضي طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر وألا يعبد الله إلا بما شرع، وتقديم قوله دون ما سواه .
ومحبته هي محبة في الله ، وليست محبة مع الله ، لأن الله هو الذي أمرنا أن نحب النبي .

قوله : [ولهما عنه قال: قال رسول الله :(ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ... أن يُقذف في النار)]
" حلاوة الإيمان " : الحلاوة هي لذة القلب ونعيمه وسروره ، وهو شيء يجده أهل الإيمان في قلوبهم أعلى من حلاوة المطعوم الحلو في الفم ، فيستلذ الطاعات ويتحمل المشقات في رضى الله .
" أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما " : من محبة الولد والمال والأزواج ونحوها .
" وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ": أن يحب المرء الذي يعتقد إيمانه وعبادته ، لا يحبه إلا لله، أي لأجل طاعة الله .
" وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يٌقذف في النار " : أي يستوي عنده الأمران ، الرجوع في الكفر والقذف في النار .
وهذا الحديث : فيه أن محبة الله ورسوله لابد أن تكون مقدمةً على محبة ما سواهما من المال والأهل والولد وغير ذلك ، وأن كمال الإيمان في ذلك ، وأن حلاوته لا تحصل إلا بذلك .

قوله : [وعن ابن عباس قال : (من أحب في الله ، ووالى في الله ، وعادى في الله ... على أهله شيئاً) رواه ابن جرير]
" من أحب في الله ، وأبغض في الله ، ووالى في الله ، وعادى في الله " : هذه من لوازم محبة العبد لله تعالى ، فمن أحب الله أحب معه ووالى أولياءه وعادى أهل معصيته وأبغضهم .
" وإنما تنال ولاية الله بذلك " : أي إنما يكون العبد ولياً لله بذلك والولاية هي المحبة والنصرة .
" وقد صار عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا ، ذلك لا يُجدي على أهله شيئاً " : قال تعالى : الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعضٍ عدو إلا المتقين .
قوله : [وعن ابن عباس في قوله : وتقطعت بهم الأسباب قال المودة]
الأثر صحيح .

باب قول الله تعالى: إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين

قوله : إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه : أي يخوفكم أيها المؤمنون بأوليائه ويوهمكم انهم ذو بأس شديد .
فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين **:** وهذا نهيٌ من الله تعالى للمؤمنين أن يخافوا غيره، وأمرهم أن يقصروا خوفهم على الله تعالى فلا يخافوا إلا إياه , وهذا يدل على أن الخوف عبادةً ؛ لأن الله تعالى أمر بها , وأمر بإفراده فيها .
واعلم أنه كلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان وكلما ضعف إيمانه قوي خوفه منهم فدلت هذه الآية على أن إخلاص الخوف شرط كمال الإيمان .
والخوف من الله عز وجل من العبادات القلبية التي يجب إخلاصها لله كما قال تعالى: فلا تخافوهم وخافون.

والخوف من غير الله ثلاثة أقسام :

1- القسم الأول : خوف السر ، وهو أن يخاف من غير الله من ميت أو وثن أو صنم أن يضره في نفسه أو في أهله فهذا شرك أكبر وهو الواقع من عباد القبور .
2- القسم الثاني : أن يترك ما يجب عليه من جهاد وأمر بمعروف ونهي عن منكر أو فريضة من الفرائض ونحوها لغير عذر وإنما خوفاً من بعض الناس ، فهذا محرم وهو نوع من الشرك بالله عز وجل المنافي لكمال التوحيد كما ذكر ذلك صاحب فتح المجيد .
3- القسم الثالث : الخوف الطبيعي ، كالخوف من عدوٍ أو سَبُع أو غير ذلك ، فهذا لا يُذم، كما قال تعالى – في قصة موسى عليه السلام – **:** فخرج منها خائفاً يترقب .

قوله :[وقوله: ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله ﴾]
أخبر تعالى أنه لا يعمر مساجده حقيقة إلا الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا بجوارحهم وأخلصوا لله الخشية، أي المخافة والهيبة التي هي أساس العبادة وهذا يدل على أنه يجب أن تكون الخشية لله تعالى لأن قوله : ﴿ولم يخش إلا الله ﴾أسلوب حصر وقصر .
فهذه الآية فيها وجوب إفراد الله تعالى بالخشية , والخشية أخص من الخوف .

قوله : [وقوله : ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ﴾]
فمن الناس من يقول بلسانه آمنا بالله ، لكن إذا أوذي في الله ، وفُتن في دين الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ، فيفر من فتنة الناس بالشرك كما يُفر من عذاب الله بالتوحيد والإخلاص .
ومطابقة الآية للترجمة : أن الله تعالى ذم من يفر من أذية الناس إلى معصية الله تعالى بسبب الخوف منهم مما يدل على تحريم ذلك .
قوله : [عن أبي سعيد ﷺ مرفوعاً : (إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله ، ... ولا يرده كراهية كاره)]

" إن من ضعف اليقين " : أي من ضعف الإيمان في القلب , كما قال ابن مسعود ﷺ : " اليقين الإيمان كله " رواه الطبراني في الكبير بسند صحيح .
ووجه الاستدلال من هذا الحديث أن إرضاء الناس بسخط الله من أسباب ضعف الإيمان ، والذي يضعف الإيمان إنما هو المحرمات لأن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعصية فدل هذا على أن إرضاء الناس بسخط الله معصية ومحرم لأن هذا الذي أرضى الناس بسخط الله خافهم أو رجاهم لذلك أرضاهم بسخط الله عز وجل .
والحديث إسناده ضعيف لأن فيه محمد بن مروان ، وعطية العوفي ، وهما ضعيفان ، لكن معناه صحيح كما قال الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب رحمه الله .

قوله : [وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : (من التمس رضا الله ... الناس) رواه ابن حبان في صحيحه]
الحديث حسن ، ورواه ابن حبان بسند آخر صحيح بلفظ : (من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس) .
هذا الحديث فيه جزاء الذي أفرد الله تعالى بالخوف ، وجزاء الذي لم يكمل التوحيد في عبادة الخوف.
فمن التمس رضى الله بسخط الناس ، فخاف الله تعالى وخشيه وطمع فيما عنده فهذا جزاؤه أن يرضى الله عنه ويُرضي عنه الناس .
وأما من التمس رضا الناس بسخط الله ، فقد خاف الناس وجعل خوفه منهم سبباً لعمل المحرمات وترك الفرائض ، وبذلك يكون قد ارتكب ذنباً عظيماً فجزاؤه أن يسخط الله عليه ويُسخط عليه الناس .

باب قوله تعالى : ﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾

التوكل عبادة قلبية من أجمع أنواع العبادة وأعظمها لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة .
والتوكل على الله تعالى شرط في الإيمان لقوله تعالى : ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾قال ابن القيم : فجعل التوكل على الله شرطاً في الإيمان فدل على انتفاء الإيمان عند انتقائـه . ا.هـ .
وهذه الآية التي ذكرها المؤلف رحمه الله : فيها الأمر بالتوكل ، ولما أمر به علمنا أنه من العبادة هذا وجه الدلالة من هذه الآية، ووجه آخر منها أنه جعل التوكل شرطاً لصحة الإيمان كما تقدم .

قوله : [وقوله : ﴿ يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ﴾]
أي الله عز وجل وحده كافيك ، وكافي أتباعك ، فلا تحتاجون معه إلى أحد .
وبهذا يظهر مطابقة الآية للترجمة : فإذا كان هو الكافي لعبده وحده وجب ألا يُتوكل إلا عليه .
وعلى ذلك لا يجوز أن يقول : توكلت على الله ثم عليك ، لأن التوكل لا يكون إلا على الله وحده سبحانه .

قوله : [وقوله : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذُكر الله وجلت قلوبهم ... ﴾]
في هذه الآية وصف المؤمنين بأعلى مقامات الإحسان وهي : الخوف وزيادة الإيمان ، والتوكل على الله وحده .

قوله : [وقوله : ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾]
﴿فهو حسبه ﴾ : أي كافيه , وقد جعل الله عز وجل لكل عمل جزاء ، وجعل جزاء التوكل عليه كفايته سبحانه ، وإذا كان الله سبحانه نفسه كافياً عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه فلا مطمع فيه لعدو.
وفي الآية دليل على فضل التوكل وأنه أعظم الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار .

قوله : [وعن ابن عباس قال : ﴿ حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار ... ﴿ ... إيماناً ﴾ رواه البخاري والنسائي]
﴿حسبنا الله ﴾ : أي كافينا ، فلا نتوكل إلا عليه .
﴿ونعم الوكيل ﴾: أي نعم الموكول إليه كما قال تعالى : ﴿واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ﴾
ففي هاتين القصتين فضل هذه الكلمة العظيمة ، وأنها قول الخليلين عليهما السلام في الشدائد ، وفيه أن التوكل أعظم الأسباب في حصول الخير ، ودفع الشر في الدنيا والآخرة .

وحقيقة التوكل على الله عز وجل : أن يعلم أن هذا الملكوت إنما هو بيد الله جل وعلا يصرفه كيف يشاء ، فيفوض الأمر إليه في تحقيق مطلوبه وفي الهرب مما يسوؤه ثم يعمل السبب الذي أمر الله به.
والتوكل على غير الله عز وجل ثلاثة أقسام :

1- أولاً : التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله ، كالذي يتوكل على الأموات والطواغيت في رجاء مطالبهم من نصر أو حفظٍ أو رزق أو شفاعة ، فهذا شرك أكبر .
2- ثانياً : التوكل في الأسباب الظاهرة ، كمن يتوكل على أمير أو سلطان فيما أقدره الله عليه من رزقٍ أو دفع أذىٍ مع اعتقاد أن الله هو الذي بيده الضر والنفع لكنه يلتفت قلبه إلى السبب وينسى المسبب وهو الله عز وجل ، فهذا نوع شرك أصغر .
3- ثالثاً : أن يكل أمراً من أموره إلى أحدٍ من باب فعل السبب وهو يعتقد أن الأمر كله لله ولا ينسى المسبب فهذا جائز لا حرج فيه .

باب قول الله تعالى : ﴿ أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾

أراد المؤلف بالترجمة بهذه الآية : التنبيه على أن الأمن من مكر الله من أعظم الذنوب ، وأنه ينافي كمال التوحيد كما أن القنوط من رحمة الله كذلك.
وذلك يرشد إلى أن المؤمن يسير إلى الله بين الخوف والرجاء كما دل على ذلك الكتاب والسنة وأرشد إليه السلف والأئمة ؛ وذلك لأن الأمن من مكر الله تعالى صادر عن عدم الخوف منه , والقنوط من رحمة الله تعالى صادر من عدم الرجاء ..

==
====
والمراد بهذا الباب بيان أن الجمع بين الخوف والرجاء واجب من واجبات الإيمان ولا يتم التوحيد إلا بذلك .
أفأمنوا مكر الله : المكر من الله عقوبته لمن يستحق على حين غفلة أي يؤتى العبد من حيث لا يحتسب عقوبة الله .
وصفة المكر فعلية لله ، تثبت لله على سبيل التقييد أو على سبيل المجازاة لا على سبيل الإطلاق فالله يمكر بمن يستحق المكر ، فمن مكر بأولياء الله فالله يمكر به وهكذا.
فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون : فلا يأمن مكر الله إلا القوم المتصفون بالخسارة والخيبة لأنهم لا يخافون الله ، وأما المفلحون الفائزون فإنهم لا يأمنون مكر الله عز وجل .
فهذه الآية دلت على أن من صفات المفلحين أنهم لا يأمنون مكر الله لعظم خوفهم منه سبحانه ، وأن ذلك – أي الأمن من مكر الله – صفة الخاسرين .
قوله : [ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون]
القنوط : هو استبعاد الفرج واليأس منه . وهو يقابل الأمن من مكر الله عز وجل ، وكلاهما ذنب عظيم .
قوله : [وعن ابن عباس أن رسول الله ، سُئل عن الكبائر فقال : (الشرك بالله ، واليأس من روح الله ، والأمن من مكر الله)]
رواه البزار وهو حديث حسن .
" واليأس من روح الله " : أي قطع الرجاء والأمل من الله فيما يخافه ويرجوه ، قال تعالى : ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون وذلك إساءة ظن بالله ، وجهل بسعة رحمته وجوده ومغفرته .
" والأمن من مكر الله " : أي من استدراجه للعبد وسلبه ما أعطاه من الإيمان نعوذ بالله من ذلك وهذا دليل على ذهاب الخوف من الله عز وجل , وذلك جهل بالله وبقدرته ، وثقة بالنفس وعجب بها .
وهذا الحديث فيه أن الأمن من مكر الله واليأس من روح الله من الكبائر ؛ لأن اليأس راجع إلى ترك عبادة الرجاء والأمن من مكر الله راجع إلى ترك عبادة الخوف ، والجمع بين الخوف والرجاء واجب من الواجبات وذهابهما أو نقصانهما مؤثر في توحيد العبد .
قوله : [وعن ابن مسعود قال : (أكبر الكبائر : الإشراك بالله ، والأمن من مكر الله ، والقنوط من رحمة الله ، واليأس من روح الله) رواه عبدالرزاق]
رواه عبدالرزاق وسنده صحيح .
وفيه أن من أكبر الكبائر اليأس من روح الله ، والقنوط من رحمة الله ، والأمن من مكر الله .
والفرق بين اليأس من روح الله ، والقنوط من رحمة الله أن اليأس من روح الله أخص من القنوط من رحمة الله ؛ فإن القنوط من رحمة الله يدخل فيه يأسه في الشدة والرخاء ، وأما اليأس من روح الله فهو القنوط في حالة الشدة , فيكون العطف هنا من باب عطف الخاص على العام .
ودل هذا الحديث بالمفهوم على وجوب الجمع بين الخوف والرجاء وأن ذلك من الواجبات التي لا يتم الإيمان إلا بها .

باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله

أراد المؤلف رحمه الله بهذا الباب بيان وجوب الصبر على أقدار الله ، وبيان فضله وأنه من الإيمان بالله تعالى ، وتحريم ضده المنقص لكمال التوحيد , فمن خصال الإيمان بالله الصبر على أقدار الله تعالى .

والصبر لغةً : الحبس والمنع .

واصطلاحاً : يطلق على ثلاثة أقسام .

1- الأول : الصبر على طاعة الله عز وجل ، قال تعالى : ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها . ﴾
2- الثاني : الصبر عن معصية الله تعالى .
3- الثالث : الصبر على أقدار الله عز وجل بألا يتسخط على قدر الله ، ولا يضرب خداً، ولا يشق ثوباً.

قوله : [وقوله تعالى : ﴿ ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾ قال علقمة : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم]

علقمة : هو ابن قيس وهو من كبار التابعين .

﴿ومن يؤمن بالله ﴾ : أي ومن يؤمن بقدر الله فيرضى ويحتسب .

﴿يهدي قلبه ﴾: فيضع في قلبه الطمأنينة والراحة ويعوضه عما فاته من الدنيا هدىً في قلبه ويقيناً صادقاً ، فالإيمان بقدر الله عز وجل يورث في القلب سكوناً وطمأنينة وسعادة .

فعلى هذا التفسير : جعل الصبر على أقدار الله عز وجل من الإيمان .

قوله : [وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : (اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعن في النسب ، والنياحة على الميت)]

" اثنتان في الناس " هما بهم كفر : فهاتان الخصلتان من خصال الكفر وشعبه حيث كانتا من أعمال الجاهلية . وهما قائمتان بالناس ولا يسلم منهما إلا من سلمه الله ، ورزقه علماً وإيماناً يستضيء به .

" الطعن في النسب " : أي عيبه وانتقاصه .

" والنياحة على الميت " : وهي رفع الصوت بالندب ، وتعداد فضائل الميت ومحاسنه ، وذلك لما فيه من التسخط على أقدار الله المنافي للصبر , فالنياحة منافية للصبر .

وفي هذا الحديث أن النياحة من شعب الكفر , وكونها من شعب الكفر لا يدل على أن من قامت به فهو كافر الكفر المطلق المخرج من الملة بل يدل على أن من وجدت فيه فقد وجدت فيه خصلة من خصال الكفار وشعبة من شعب الكفر .

والشاهد في هذا الحديث : تحريم الجزع المنافي لكمال التوحيد ، وفيه دليل على وجوب الصبر.

قوله : [ولهما عن ابن مسعود : (ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية)]

" ليس منا " : أي ليس على هدينا وسنتنا ، وإن كان مسلماً لكن له نوع مخالفة .

" من ضرب الخدود " : خص الخد لكونه الغالب ، وإلا فضرب بقية الوجه مثله .
" وشق الجيوب " : جمع جيب وهو الذي يدخل فيه الرأس من الثوب ، وهذا عام في الجيب وغيره .
" ودعا بدعوى الجاهلية " : كالدعاء بالقبائل والعصبية ، ومنه ما يكون في المصائب من قول : " يا ويلاه أو يا ثبوراه " .
وقد روى ابن ماجه والحديث صحيح : أن النبي) : لعن الخامشة وجهها والشاقة جيبها والداعية بالويل والثبور) .
وهذا الحديث يدل على أن هذه الأمور من الكبائر لأن النبي قال : (ليس منا) ولما اشتملت عليه من التسخط على الرب جل وعلا وهذا مناف للصبر .
ومعلوم أن المعاصي تنقص الإيمان ، لأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، ونقص الإيمان قد ينقص كمال التوحيد ، لأن ترك الصبر منافٍ لكمال التوحيد الواجب .
قوله : [وعن أنس أن رسول الله قال : (إذا أراد الله بعبده الخير عجَّل له العقوبة في الدنيا ، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يُوافِيَ به يوم القيامة)]
رواه الترمذي وغيره وهو حديث حسن .
" إذا أراد الله بعبده الخير عجَّل له العقوبة في الدنيا " : أي بوقوع البلاء والمصائب عليه ، لما حصل منه من الذنوب ، فيخرج منها وليس عليه ذنب يوافي به يوم القيامة ، والمصائب نعمة – كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله – لأنها مكفرات الذنوب .
وهذا الحديث فيه بيان حكمة الله تعالى من المصائب والتي إذا استحضرها المصاب فإنه يعظم عنده الصبر ويتحلى بهذه العبادة القلبية العظيمة وهي الصبر ، والحكمة هي تكفير الذنوب .
وقد قال) : من يرد الله به خيراً يُصب منه) رواه البخاري .
ولهذا كان بعض السلف يتهم نفسه إذا رأى أنه لم يُصَب بالبلاء .
قوله : [وقال النبي : (إن عِظم الجزاء مع عِظم البلاء ، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط) حسنه الترمذي]
الحديث إسناده حسن وهو من حديث أنس رضي الله تعالى عنه .
" إن عِظم الجزاء مع عِظم البلاء " : فكلما عظم البلاء عظم الجزاء .
" فمن رضي فله الرضا " : من رضي بقضاء الله عز وجل فله الرضا من الله عز وجل .
" ومن سخط فله السخط " : أي من سخط على الله فيما دبره ، فله السخط من الله عز وجل ، وكفى بذلك عقوبة .
وهذا الحديث فيه بيان عظيم فضل الصبر ، وبيان جزاء ضده وهو التسخط وعدم الصبر ، وفيه أن الرضا بقدر الله من علامات الإيمان بالله عز وجل .

باب ما جاء في الرياء

الرياء من الرؤية ؛ والمقصود به : إظهار العبادة ، لقصد رؤية الناس لها فيحمدون صاحبها .
فالرياء على درجتين :

1- الدرجة الأولى : رياء المنافقين : بأن يُظهر الإسلام ويُبطن الكفر لأجل رؤية الخلق .

وهذا منافٍ للتوحيد من أصله وكفر أكبر بالله عز وجل ، وبهذا وصف الله المنافقين بقوله تعالى : يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً أي يراءون الناس يعني الرياء الأكبر الذي هو إظهار الإسلام وإبطان الكفر .

2- الدرجة الثانية : أن يكون العبد مسلماً ولكن يُرائي بعمله أو ببعض عمله ، فهذا شرك خفي وهو منافٍ لكمال التوحيد .

قوله : [وقول الله تعالى : قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يُشرك بعبادة ربه أحداً]

ولا يُشرك بعبادة ربه أحداً : نكرة في سياق النهي تفيد العموم ، أي يعم جميع الخلق بمراءاة أو تسميع أو غير ذلك .فدلالة الآية على الباب : أن المراءاة نوع من الشرك الأصغر .

قوله : [وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : قال الله تعالى : (أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه) رواه مسلم]
هذا الحديث يدل على أن الله عز وجل لا يقبل العمل الذي خالطه الرياء ، فالله عز وجل غني عن العباد ، ومن غناه ألا يقبل الأعمال التي دخل في نيتها غيره .
وأولى من ذلك أن يكون قد أراد بعمله غير الله إرادة منفردة عن إرادة وجه الله عز وجل كأن لا يريد إلا المدح والثناء وحسن العطاء من الناس ونحو ذلك .
فإذن : إذا كان الرياء في العبادة من أولها فإنها باطلة , لكن : إن طرأ على العبادة ولم يكن أصلياً لكنه دفعه وجاهده فإنه لا يبطل عمله وإن استرسل معه وقبلته نفسه فإن عمله باطل .
فهذا الحديث فيه بطلان العمل الذي وقع فيه شرك ، ومن الشرك الرياء .

قوله : [وعن أبي سعيد مرفوعاً : (ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟ ... نظر رجل) رواه أحمد]

الحديث حديث حسن .
وفيه أن النبي يخاف على أمته الرياء أشد من خوفه عليهم من المسيح الدجال . وإذا كان النبي يخافه على سادات الأولياء من الصحابة مع قوة إيمانهم وعلمهم ، فغيرهم ممن هو دونهم بأضعاف أولى بالخوف من الشرك أصغره وأكبره . وهذا يقتضي اجتنابه والحذر منه .
وقد ثبت في المستدرك بإسناد حسن عن شداد بن أوسٍ قال : (كنَّا نعدُ الرياء على عهد النبي الشرك الأصغر)
فالرياء شرك أصغر وهو شرك خفي .
وإنما خافه النبي على أمته لكون النفوس مجبولة على حب المدح والثناء .

باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

تقدم أن الشرك الأصغر إرادة العبد بعمله الصالح أن يحمده الناس , ومن الشرك أيضاً : أن يعمل العمل الصالح للدنيا كأن يعمل للدراهم والدنانير أو لينال المنصب والرئاسة أو غير ذلك . وهو ما سيذكر في هذا الباب .
وأراد المصنف رحمه الله بهذه الترجمة : أن العمل لأجل الدنيا شرك ينافي كمال التوحيد الواجب ، ويُحبط العمل وهو أعظم من الرياء ، لأن مريد الدنيا قد تغلب إرادته تلك على كثير من عمله , وأما الرياء فقد يعرض له في عملٍ ولا يسترسل معه والمؤمن يكون حذراً من هذا وهذا .

قوله : [وقول الله تعالى : ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها ... يعملون ﴾]
هذه الآية مخصوصة بقوله تعالى : ﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ﴾ .
﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها ﴾ : أي بعمله الصالح .
﴿نوف إليهم أعمالهم فيها ﴾أي نوفر لهم ثواب أعمالهم بالصحة والسرور في المال والأهل والولد وذلك لمن شاء الله إعطاءه .
﴿وهم فيها لا يبخسون ﴾ : أي لا ينقصون مما يجازون فيه .
﴿أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار﴾ : فليس لهم من عملهم الصالح ما ينجيهم من النار .
﴿وحبط ما صنعوا فيها ﴾: مما ظاهره من العمل الصالح .
﴿وباطل ما كانوا يعملون ﴾ : أي كان عملهم في نفسه باطلاً ، لأنه لم يعمل صحيح والعمل الباطل لا ثواب له .
وهذه الآية نزلت في الكفار لكن لفظها يشمل كل من أراد الدنيا بعمله الصالح فإنه قد يثيبه الله على عمله في الدنيا إن شاء الله ذلك ، وأما في الآخرة فلا ثواب له على عمله الصالح .

قوله : [وقال رسول الله ﷺ : (تعِس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، ... وإن شفع لم يُشفَّع)]
الحديث رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
" تعس " : بكسر العين ، ويجوز الفتح أي سقط والمراد هنا هلك .
" عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم " : سماه عبداً لكونه هو المقصود بعمله فلولا الدرهم ولولا الدينار لما عمل هذا العمل الصالح , فكل من توجه بقصده لغير الله ، فقد جعله شريكاً لله في عبوديته .
" والخميصة " : كساء له أعلام .
" الخميلة " : هي القطيفة .
"إن أعطي رضي وإن لم يُعط سخط " : فقد جعل أساس معاملته مع الناس : الدنيا، فإذا أعطوه منها رضي ، وإن لم يعطوه سخط .
" تعس وانتكس " : تعس : أي انتكست عليه أموره ، فيسلك أسباب الخير ليصل إلى الخير فإذا بالشر يأتيه من أسباب الخير ، فتنتكس عليه أموره .
" وإذا شيك فلا انتقش " : أي إذا أصابته شوكة فلا يقدر على إخراجها ، فهذا دعاء عليه بأن لا يستطيع دفع الأذى عن نفسه .فعابد المال : لا نال المطلوب ، ولا خلص من المكروه .
" طوبى " : شجرة في الجنة ، وقيل اسم للجنة .
"لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله " : في جهاد المشركين .
" أشعث رأسه " : أي طائر الشعر أشغله الجهاد في سبيل الله عن التنعم بالادهان وتسريح الشعر .
"مغبرة قدماه إن كان في الحراسة " : أي حماية الجيش من هجوم العدو عليهم " كان في الحراسة " : أي غير مقصر فيها ولا غافل ، وهذا اللفظ يُستعمل في حق من قام بالأمر على وجه الكمال .
"وإن كان في الساقة كان في الساقة " الساقة : مؤخرة الجيش ، لا يهمه نيل شيء من مناصب الدنيا والمعنى أنه خامل الذكر لا يقصد السمو فأين اتفق له السير سار .

" إن استأذن لم يؤذن له ": إذا استأذن على الأمراء ونحوهم لم يؤذن له لأنه لا جاه له عندهم ولا منزلة , ولأنه ليس من طلابها .
"وإن شفع لم يُشفع " : لأنه لا جاه عندهم ولا منزلة .
وقد ثبت في مسلم أن النبي قال : (رُب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره) .
والشاهد من هذا الحديث : أنه سمي من قصد بعمله الصالح شيئاً من أمور الدنيا عبداً له فدل ذلك على أنه قد أشرك ، وهو ها هنا شرك أصغر ، وقد دعا عليه النبي وهذا يدل على أنه محرم وأنه كبيرة من كبائر الذنوب .

باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه فقد اتخذهم أرباباً

مناسبة ذكر هذا الباب في كتاب التوحيد: لما كانت الطاعة من أنواع العبادة، نبّه المصنف -رحمه الله- بهذا الباب على وجوب اختصاص الخالق تبارك وتعالى بها، وأنه لا يطاع أحدٌ من الخلق إلا إذا كانت طاعته في غير معصية الله.

قوله :(وقال ابن عباس : (يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول قال رسول الله وتقولون : قال أبو بكر وعمر) . وقال الإمام أحمد بن حنبل : " ... شيء من الزيغ فيهلك **)**
أثر ابن عباس رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح .
وفيه أنه لا يُعارض قول النبي بقول أحدٍ أياً كان ، ولو كان ذلك القائل أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وقد قال فيهما رسول الله) : إن يطيعوا أبا بكرٍ وعمر يرشدوا) فكيف بمن دونهم من الصحابة والتابعين ، فكيف بأئمة المذاهب ، وأصحاب المذاهب رحمهم الله جميعاً .
فالذي يرد قول النبي لقول أحدٍ يُخشى عليه أن يُعاقب فيقع في قلبه زيغ فيهلك ، قال تعالى عن اليهود : فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم .
وفي قوله : فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة : أي نوع شرك وقد يصل ذلك إلى الشرك الأكبر بالله جل وعلا إذا كان في تحليل الحرام مع العلم بأنه حرام ، أو تحريم الحلال مع العلم بأنه حلال .
قوله : [وعن عدي بن حاتم : (أنه سمع النبي يقرأ هذه الآية : اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله فقلت له : إنا لسنا نعبدهم قال : ...) رواه أحمد والترمذي وحسنه]
الحديث رواه الترمذي وقال : " غريب " يعني ضعيف ، لكن الحديث له شاهد يرتقي به إلى درجة الحسن وحسنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

وعدي بن حاتم الطائي كان نصرانياً في الجاهلية ثم أسلم .

" اتخذوا أحبارهم " : أي علمائهم .
" ورهبانهم " : أي عبادهم .
" أرباباً من دون الله " : أي معبود من دون الله عز وجل .
)فقلت إنا لسنا نعبدهم فقال : أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ماحرم الله فتحلونه فقلت : بلى ، قال : فتلك عبادتهم).
ففي هذا الحديث بيان أن طاعة الأحبار والرهبان قد تصل إلى الشرك الأكبر .

باب قوله تعالى : ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ...

عقد المؤلف هذا الباب لبيان أن الحكم بما أنزل الله فرض وأن الحكم بغير ما أنزل الله شرك أكبر .
وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله لا تتحقق إلا بحكم الكتاب والسنة في موارد النزاع .
فالحكم بالقوانين أو بسواليف البادية كفر أكبر ، وهو مناقض لكلمة التوحيد : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .
ألم تر : أي يا محمد إلى الذين يزعمون زعماً باطلاً ، وادعاءً كاذباً .
أنهم آمنوا بما أنزل إليك : وهو القرآن وما أنزل من قبلك على الأنبياء السابقين .
يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت : أي إلى المحكم غير شرع الله عز وجل ، كالكهان وأصحاب القوانين الوضعية .
وقد أمروا أن يكفروا به : كما قال تعالى : أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقال تعالى : فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى.
ويريد الشيطان أن يُضلهم ضلالاً بعيداً : يعني أن ذلك من وحي الشيطان ومن تسويله .
ومناسبة الآيات للباب ظاهرة : وهي أن التحاكم إلى غير شرع الله قدح في أصل التوحيد حيث دلت الآية على تكذيب من ادعى الإيمان بما أنزل الله ثم تحاكم إلى غيره .
قوله : [وقوله : وإذا قيل لهم لا تُفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون]
هذه الآية : في ذكر صفات المنافقين , وفيها أنهم يسعون بالشرك وعدد من المحرمات ويقولون : نحن مصلحون لكنهم بالحقيقة هم المفسدون .
ومناسبة الآية للترجمة : أن التحاكم إلى غير الله ورسوله من أعمال المنافقين وهو من الفساد في الأرض .
قوله : [وقوله : ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها]
أي لا تفسدوا في الأرض بالمعاصي ، والدعاء إلى غير طاعة الله بعد إصلاح الله إياها ببعث الرسل ، وبيان الشريعة والدعاء إلى طاعة الله عز وجل .
ووجه مطابقة الآية للترجمة : أن التحاكم إلى غير طاعة الله ورسوله من أعظم ما يفسد الأرض من المعاصي ، فلا صلاح لها إلا بتحكيم كتاب الله وسنة رسوله .
قوله : [وقوله : أفحكم الجاهلية يبغون]
الجاهلية كانوا يحكم بعضهم في بعض ، فهم قد سنوا شريعة فجعلوها حاكمة بينهم ولم يستمدوا ذلك من كتاب ولا سنة ، فكل شرع لا يستمد من كتاب الله ولا سنة نبيه فهو حكم جاهلي .
وهذا استفهام إنكاري ، فينكر الله عز وجل على من رضي بحكم الجاهلية وقدمه على حكم الله عز وجل .
ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون : أي لا أحد أحسن من الله حكماً لمن عقل عن الله شرعه .
وفي هذه الآية التحذير من حكم الجاهلية واختياره على حكم الله عز وجل ورسوله .
وعندنا في الحكم بغير ما أنزل الله أحوال وهي :
1- الحالة الأولى : المشرع أو المقنن وهو الذي وضع قانوناً مستقلاً يحكم به من دون الله عز وجل فهذا كافر كفراً أكبر ؛ لأنه جعل نفسه طاغوتاً فدعا الناس إلى عبادة نفسه وهو راضٍ بذلك .
2- الحالة الثانية : الحاكم بذلك القانون أو التشريع فيه تفصيل :-
1- فإذا كان حاكماً بشرع الله عز وجل لكن حكم مرة أو مرتين أو أكثر بغير شرع الله ولم يكن ذلك له ديدناً وهو يعلم أنه عاصٍ لله بذلك فهذا له حكم أمثاله من الذنوب ولا يكفر حتى يستحل ذلك .
2- أن لا يحكم بشرع الله بتاتاً ، بل يحكم بالقانون ، ويلزم الناس بغير شرع الله فهذا يكفر مطلقاً , لأن الله قال : يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت فجعله طاغوتاً وقال : وقد أمروا أن يكفروا به .
وهو قول الشيخ محمد بن إبراهيم كما في رسالة (تحكيم القوانين) وذلك لأنه لا يصدر – ذلك – من قلب قد كفر بالطاغوت بل لا يصدر إلا ممن عظم القانون وعظم الحكم به .
3- الحالة الثالثة : المتحاكم إلى غير شرع الله عز وجل فهذا فيه تفصيل أيضاً :-

1- فإن كان يريد التحاكم له رغبة في ذلك ويرى أن الحكم بذلك سائغ فهذا كافر ؛ لأنه داخل في هذه الآية ولا يجتمع إرادة التحاكم إلى الطاغوت مع الإيمان بالله ؛ بل هذا ينفي هذا .
2- أما إن كان لا يريد التحاكم ، لكنه تحاكم إما بإجباره على ذلك كما يحصل في البلاد الأخرى أنه يجبر أن يحضر مع خصمه إلى قاضٍ يحكم بالقانون , أو أنه علم أن الحق له في الشرع ، فرفع الأمر إلى القاضي بالقانون لعلمه أنه يوافق حكم الشرع ففي هذه الحال لا يكفر .

قوله : [وعن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) قال النووي : حديث صحيح ، رويناه في كتاب الحجة بإسنادٍ صحيح]
" كتاب الحجة " : هو كتاب الحجة على تارك المحجة لأبي الفتح المقدسي الشافعي , والحديث فيه نعيم بن حماد وهو ضعيف لكن القرآن يشهد له قال تعالى : ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ﴾ وقوله : ﴿فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم . ﴾
الهوى : ما يهواه وتحبه نفسه وتميل إليه .
ومعنى الحديث : لا يؤمن أحدكم الإيمان الكامل حتى تكون رغبته وميله إلى ما جاء به الرسول . ﷺ
قوله : [وقال الشعبي كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة ... ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون ﴾ الآية]
رواه ابن جرير في تفسيره ، وهو مرسل والمرسل من أقسام الحديث الضعيف .
قوله : [وقيل : " نزلت في رجلين اختصما ... فقتله "]
رواه البغوي ، وفيه الكلبي وهو كذاب فعلى ذلك هذا لا يصح كما أنه يبعد أن يترافعا إلى عمر ؓ مع ما هو معروف عنه من القوة والشدة .

باب من جحد شيء من الأسماء والصفات

عقد المؤلف رحمه الله هذا الباب ليبين أن جحد شيء من الأسماء والصفات منافٍ لأصل التوحيد وهو من خصال الكفار والمشركين وليبين وجوب الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته وأن التوحيد لا يحصل إلا بذلك , وتقدم أن أنواع التوحيد ثلاثة وهي متلازمة فمن أقر بربوبية الله تعالى وإلهيته وجحد شيئاً من أسمائه وصفاته فقد كفر .
قوله : [وقوله تعالى : ﴿ وهم يكفرون بالرحمن] ﴾
فجعل الله عز وجل إنكار قريش لاسم الرحمن كفراً .
لأن الكفار ينكرون اسم الرحمن ، وفي البخاري أن النبي ﷺ قال لعلي بن أبي طالب) : ﴿اكتب بسم الله الرحمن الرحيم)
فقال سهيل بن عمرو : اكتب باسم الله لا ندري ما الرحمن ولا الرحيم(
فمناسبة الآية للباب : أن إنكار وجحد شيء من الأسماء والصفات كفر بالله جل وعلا .
قوله : [وفي صحيح البخاري : قال علي : " حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله "]
فيه الأمر بتحديث الناس بما يعرفون وتبلغه عقولهم ، والنهي عن أن يحدثهم بما لا تدركه عقولهم .
فمناسبة هذا الأثر للباب : أن من أسباب جحد الأسماء والصفات أن يحدث الناس بما لا يعقلونه من الأسماء والصفات.
والناس عندهم إيمان إجمالي بالأسماء والصفات يصح معه توحيدهم وإيمانهم فالدخول في تفاصيل ذلك غير مناسب إلا إذا كان المخاطب يعقل ذلك ويعيه .
قوله : [وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس : (أنه رأى رجلاً انتفض لما سمع حديثاً ...) انتهى]
هذا الأثر إسناده صحيح .

" انتفض لما سمع حديثاً عن النبي ﷺ في الصفات " : لأنه لم يفهم من هذه الصفة إلا المماثلة والتشبيه فخاف من تللك الصفة .
" ما فرق هؤلاء " : أي ما هو سبب خوفهم .
" يجدون رقة عند محكمه " : وعندما تأتيهم الآيات المتشابهة فإنهم يهلكون ويخافون ويؤولون أو ينفون ويجحدون .
وآيات الصفات محكمة من وجه ومتشابهة من وجه آخر .
أما من حيث المعاني فإن معانيها محكمة واضحة بينة ليس فيها أي أشكال .
وأما من حيث الكيفية فإن كيفيتها لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى .
فهذا الأثر دل على وجوب الإيمان بجميع أسماء الله وصفاته وذلك تحقيقاً لتوحيد الأسماء والصفات .
قوله : [ولما سمعت قريش ... ﴿ وهم يكفرون بالرحمن ﴾]
هذا الأثر فيه ذكر سبب نزول الآية وتقدم .

باب قول الله تعالى : ﴿يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها ﴾

عقد المؤلف هذا الباب حضاً على التأدب مع الله جل وعلا عن الألفاظ الشركية الخفية كنسبة النعم إلى غير الله جل وعلا , فنبه الشيخ رحمه الله بهذا الباب على ما ينافي كمال التوحيد من الألفاظ .
وإنكار النعم يكون بأشياء منها : أن تنسب إلى غير الله جل وعلا .
والواجب على العبد أن يعلم أن كل النعم – دينية أو دنيوية - من الله عز وجل ، وأن كمال التوحيد لا يكون إلا بإضافة كل نعمةٍ إلى الله عز وجل ، وإن إضافة النعم إلى غير الله عز وجل نقص في كمال التوحيد ونوع شرك بالله جل وعلا .
قوله ﴿يعرفون نعمة الله ثم ينكرنها **:** ﴾ أي يعرفون أن الله عز وجل هو المنعم عليهم بالنعم دقيقها وجليلها كما قال :
﴿وما بكم من نعمة فمن الله ﴾ ثم ينكرونها بإضافتها إلى غير مسديها وهو الله عز وجل ، وأما الخلق فإنهم أسباب تأتي النعم على أيديهم ، فالطبيب سبب في معالجة المريض وهكذا ، لكن لا يدل هذا على أنه هو ولي النعمة فإن ولي النعمة هو الرب جل وعلا.

وهذا من كمال التوحيد وهو أن يعلم العبد أنه ما ثمَّ شيء في هذا الملكوت إلا الله عز وجل هو الذي يفتحه وهو الذي يخلق ما شاء سبحانه .
قوله : [قال مجاهد ما معناه : هو قول الرجل : هذا مالي ورثته عن آبائي , وقال عون بن عبدالله : لولا فلان لم يكن كذا وقال ابن قتيبة : يقولون هذا بشفاعة آلهتنا]
هذا منافٍ لكمال التوحيد وهو شرك أصغر ، لأنه نسب المال إليه ونسبه إلى آبائه . وفي الواقع أن الله هو الذي أنعم على آبائه ثم أنعم به عليه ، فهذا قد نسي المسبب وهو الله جل وعلا .
فالمشركون إذا حصلت لهم نعمة من أمطار أو نجاح تجارات ونحو ذلك قالوا : هذا بشفاعة آلهتنا أي بسبب الصنم الفلاني أو الولي الفلاني ، ونسوا المتفضل وهو الله عز وجل .
قوله : [وقال أبو العباس : " بعد حديث زيد بن خالد " الذي فيه : (وأن الله تعالى قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ... الحديث) وقد تقدم ، وهذا كثير في الكتب والسنة ، يذم سبحانه من يُضيف إنعامه إلى غيره ويُشرك به]"
ويُشرك به " : أي الشرك الأصغر حيث أضاف نعم الله عز وجل إلى غير الله سبحانه .
وكلام شيخ الإسلام ابن تيمية : يدل على أن هذه الآية : ﴿يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها ﴾عامة فيمن نسب النعم إلى غير الذي أنعم بها .

قوله : [قال بعض السلف هو كقولهم كانت الريح طيبة ، والملاَّحُ حاذقاً ، ونحو ذلك ، مما هو جارٍ على ألسنة كثير]

أي إذا نجت السفينة قالوا : هذا بسبب أن الريح طيبة ، وأن الملاح : " وهو صاحب السفينة " ماهر ونحو ذلك .
" مما هو جار على ألسنة كثير " : يدل على كثرة وقوع ذلك في الناس ، فينبغي التنبه لذلك .

باب قول الله تعالى : ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: أنه لما كان من تحقيق التوحيد الاحتراز من الشرك بالله في الألفاظ، وإن لم يقصده المتكلم بقلبه؛ نبه المؤلف -رحمه الله- بهذا الباب على ذلك وبيّن بعض هذه الألفاظ لتجتنب هي وما ماثلها.

قوله :[وقال ابن عباس في الآية : الأنداد هو الشرك ، أخفى من دبيب النمل ... به شرك " رواه ابن أبي حاتم]

الأثر رواه ابن أبي حاتم وإسناده جيد .
وفي هذا الأثر ذكر ابن عباس رضي الله عنهما أمثلة على الشرك الخفي .
" والله وحياتك يا فلانة وحياتي " : هذا حلف بغير الله عز وجل ، وهو شرك أصغر .
" لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص ولولا البط في الدار لأتى اللصوص " : هذا من نسبة النعم إلى غير مسديها وهو الله عز وجل وهو شرك أصغر .
" وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت " : حيث جمع بين مشيئة الله عز وجل ومشيئة العبد بالواو التي تفيد التشريك ، وكذلك : " لولا الله وفلان " .
"لا تجعل فيها فلاناً هذا كله به شرك " : أي لا تقل لولا الله وفلان ؛ ولكن قل : لولا الله وحده هذا هو الأكمل ، ولكن يجوز أن يقول : لولا الله ثم فلان ، فيجعل رتبة فلان نازلة عن رتبة الله .
فقول ابن عباس : " لا تجعل فيها فلاناً " : أي قل : لولا الله وحده ، لأن هذا هو الأكمل ، فيقول : لولا الله لأتانا اللصوص ونحو ذلك . ويجوز لولا الله ثم فلان لحصل كذا وكذا ، لكن الذي لا يجوز والذي قال فيه ابن عباس : " هذا كله به شرك " : هو أن يقول : لولا فلان لحصل كذا أو لولا الله وفلان .

قوله : [وعن عمر بن الخطاب ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال : (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) رواه الترمذي وحسنة وصححه الحاكم]
الحديث إسناده صحيح وهو من حديث ابن عمر وليس من حديث عمر رضي الله عنهما .
وهذا الحديث فيه أن الحلف بغير الله عز وجل شرك وهو شرك أصغر .
ومما يدل على أنه شرك أصغر قول ابن عباس رضي الله عنهما المتقدم فإنه قال : " أخفى من دبيب النمل " ، وذكر في ذلك " وحياتك " وهذا حلف بغير الله وقوله : " أخفى من دبيب النمل " : هذا ليس وصفاً للشرك الأكبر وإنما هو وصف للشرك الأصغر .

قوله : [وقال ابن مسعود : (لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلي أن أحلف بغيره صادقاً)]
هذا الأثر رواه عبدالرزاق ، قال المنذري : رواته رواة الصحيح .
وإنما قال ذلك لأن الحلف بغير الله عز وجل وهو كاذب معصية وهو كبيرة من كبائر الذنوب ، وأما الحلف بغير الله عز وجل فهو شرك ، والشرك الأصغر أعظم من الكبائر .
فالحلف بغير الله شرك أصغر ، لكن إن كان جَهْد يمينه – أي منتهى يمينه – الحلف بغير الله عز وجل ، بحيث أنه لا يحلف بهذا الشيخ أو الولي ونحوه إلا صادقاً ويحلف بالله صادقاً وكاذباً ، فإن هذا شرك أكبر مُخرج من الملة وذلك لأنه صار المحلوف به عنده أعظم وأجل وأخوف من الله عز وجل .

وكفار قريش مع كونهم يعبدون غير الله عز وجل لكن جهد يمينهم القسم بالله تعالى : ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم ﴾ , وكثير من مشركي العصور المتأخرة لا يحلفون بمن يعبدون من دون الله إلا وهم صادقون ويحلفون بالله وهم صادقون أو كاذبون فهذا شرك أكبر .

قوله : [وعن حذيفة ﷺ عن النبي ﷺ قال : (لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان) رواه أبو داود بإسناد صحيح]
الحديث إسناده صحيح .
وذلك لأن المعطوف بالواو يكون مساوياً للمعطوف عليه لكونها – أي الواو – إنما وضعت لمطلق الجمع فلا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً .
وتسوية المخلوق بالخالق شرك ، إن كان في الأصغر – مثل هذا – فهو أصغر ، وإن كان في الأكبر فهو أكبر كما قال تعالى : ﴿تالله إن كنا لفي ضلال مبين ، إذ نسويكم برب العالمين . ﴾
بخلاف المعطوف بـ" ثم " فإن المعطوف بها يكون متراخياً عن المعطوف عليه بمهلة ، فلا محظور لكونه صار تابعاً.

قوله : [وعن إبراهيم النخعي : أنه يكره أن يقول أعوذ بالله وبك ، ويجوِّز أن يقول : بالله ثم بك قال : ويقول لولا الله ثم فلان ، ولا تقولوا لولا الله وفلان]
لما تقدم من كون الواو تقتضي التشريك والمساواة بخلاف ثمَّ , والكراهية في استعمال السلف يُراد بها غالباً المحرم .

باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عقد المؤلف هذا الباب ليبين أن من كمال إيمان العبد وتعظيمه لمولاه أن يعظم في قلبه الحلف بالله عز وجل فإن لم يكن ثمة مانع من التصديق فإنه يصدق من حلف بالله ، وهذا من تعظيم الله وإجلاله , وعدم القناعة بذلك فعل منافٍ لكمال التوحيد لدلالته على قلة تعظيمه لجناب الربوبية ، فإن القلب الممتلئ بمعرفة الله وجلاله لا يفعل ذلك .
وأما إن كان هناك مانع من القبول ، كأن يعرف الحالف بالكذب في كلامه أو أن يكون قوله يخالف الشرع أو نحو ذلك فإنه لا يُصدق ، وليس ذلك من هذا الباب .

قوله : [وعن ابن عمر : أن رسول الله ﷺ قال : (لا تحلفوا بآبائكم ، ومن حلف بالله فليصدق ، ومن حلف له بالله فليرضَ ، ومن لم يرضَ فليس من الله في شيء) رواه ابن ماجه بسند حسن]
الحديث حديث صحيح كما قال الشيخ سليمان بن عبدالله في تيسير العزيز الحميد ، والشاهد قوله : " ومن حُلف له بالله فليرضَ " هذا فيه وجوب الرضا بالحلف بالله عز وجل .
" ومن لم يرضَ فليس من الله " : فيه تحريم عدم تصديقه , وأن ذلك من كبائر الذنوب , وهو منافٍ لكمال التوحيد الواجب .
وقد روى البخاري في صحيحه : (أن عيسى ابن مريم عليه السلام رأى رجلاً يسرق ، فقال : سرقت ؟ فقال : لا والله الذي لا إله إلا هو . فقال : آمنت بالله وكذبت عيني . (

باب قول ما شاء الله وشئت

تقدم أن هذا من الشرك لما فيه من التسوية بين الخالق والمخلوق .
قوله : [عن قتيلة : (أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال : إنكم تُشركون ... ثم شئت) رواه النسائي وصححه]

===
====

وهو حديث صحيح .
" قتيلة " : بنت صيفي الأنصاري ، صحابية مهاجرة .
والشاهد من هذا الباب ظاهر واضح .

قوله : [وله أيضاً عن ابن عباس : أن رجلاً قال للنبي ﷺ ما شاء الله وشئت ، فقال : (أجعلتني لله نداً ؟ ما شاء الله وحده)]
والحديث إسناده صحيح .
وقوله : " ما شاء الله وحده " : هذا هو الأكمل ، ولكن يجوز : " ما شاء الله ثم شئت " كما تقدم في حديث حذيفة في الباب السابق .
وحديث ابن عباس هذا : يُقرر ما تقدم من أن هذا شرك لوجود التسوية في العطف بالواو .
وقوله : " أجعلتني لله نداً " فيه بيان أن من سوَّى العبد بالله ولو في الشرك الأصغر فقد جعله نداً لله شاء أم أبى .
كما أن فيه : تحريم مثل هذه الألفاظ ولو لم يقصد معناها ؛ لأن النبي ﷺ قال له ذلك ولم يستفصل منه .

قوله : [ولابن ماجه عن الطفيل ، أخي عائشة لأمها قال : رأيت كأني أتيت على نفرٍ من اليهود ... ما شاء الله وحده)]
حديث صحيح .
" رأيت كأني أتيت على نفرٍ " : أي في المنام ، فهي رؤيا منامية .
وهذه الرؤيا قد أقرها رسول الله ﷺ وعمل بمقتضاها ، فنهاهم أن يقولوا : ما شاء الله وشاء محمد، وأمرهم أن يقولوا : ما شاء الله وحده ، لأن هذا أكمل في الإخلاص وأبعد عن الشرك .
"كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها " : في المسند : " كان يمنعني الحياء " وهذا قبل أن يوحى إلى النبي ﷺ بأنها منكرة ، وكانت هذه اللفظة لا تعجبه ولم يكن ينهى عنها لعدم ورود ما يدل على إنكارها ، فلما أتاه الوحي بإنكارها أنكرها وإلا فإن الحياء لا يمنع النبي ﷺ من بيان الحق .

باب من سب الدهر فقد آذى الله

وهذه الأزمنة مفعول بها لا فاعلة ، فهي لا تفعل شيئاً وإنما هي مسخرة يسخرها الله عز وجل .
ولهذا صار سب هذا الزمان سبٌ للمتصرف فيه وهو الله عز وجل .
وقد عقد المؤلف هذا الباب ليبين أن سب الدهر ينافي كمال التوحيد .
فعلى ذلك سب الدهر من الألفاظ التي لا تجوز وهي منافية لكمال التوحيد ، لكن ليس هو شركاً أكبر لأنه ليس سباً مباشراً لله عز وجل ، أما لو كان سباً مباشراً فإنه شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام .
أما من سب الدهر وهو يعتقد أن الدهر فاعل لما فيه فهذا كفر أكبر لأنه اعتقد فاعلاً مع الله عز وجل وهذا شرك في الربوبية .
وسب الدهر : هو ذمه وتنقصه ولعنه ونحو ذلك .

قوله : [وقول الله تعالى : ﴿ وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ﴾]
يُخبر الله تعالى عن دَهْرية الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد .
﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ﴾: فما ثَمَّ إلا هذه الدار يموت قوم ويعيش آخرون ، فما هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع ، ومضي الأيام والليالي هو الذي يهلكنا ﴿وما يُهلكنا إلا الدهر ﴾ .

وهذه الآية : فيها أن نسبة الأشياء إلى الدهر من خصال المشركين أعداء التوحيد فنفهم من ذلك أن من خصال الموحدين أن ينسبوا الأشياء إلى الله عز وجل .

قوله : [وفي الصحيح عن أبي هريرة ، عن النبي قال : (قال الله تعالى : يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر ، وأنا الدهر ، أقلب الليل والنهار)]
" يؤذيني ابن آدم يسب الدهر " : ففيه أن سب الدهر أذية لله عز وجل وكون الشيء يتأذى لا يعني أنه يتضرر فالأذى غير الضرر قال تعالى : لن يضروكم إلا أذى .
" وأنا الدهر " : هذا لا يعني أن الدهر اسم من أسماء الله عز وجل لكنه رتبه على ما قبله فقال : " يسب الدهر وأنا الدهر " لأن الدهر لا يملك شيئاً ولا يفعل شيئاً ، فسب الدهر سبٌ لله .
فعلى ذلك الدهر ليس من أسماء الله تعالى خلافاً لقول ابن حزم وذلك لما تقدم من قوله : " أقلب الليل والنهار " وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة .

قوله : [وفي رواية : " لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر "]
هذه الرواية لمسلم وفيها : النهي عن سب الدهر .
وقوله : " فإن الله هو الدهر " تقدم معنى هذا وأن المراد : أن الله هو الذي يُقلب الدهر كيف يشاء .
فهذا الباب فيه النهي عن سب الدهر ، وأن ذلك يرجع إلى سب الخالق جل وعلا .
وليس من ذلك وصف السنيين أو الأيام بالشدة أو النحس أو السواد ونحو ذلك ، لأن هذا مُقيَّد وهو من باب الإخبار فلا مانع من ذلك وهذا جاء في القرآن قال تعالى : في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي فقد وصف الله الأيام بأنها نحسات ؛ لأنه جرى عليهم فيها ما فيه نحس عليهم .

باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه

كحاكم الحكام ، وملك الأملاك ونحوها في اللغة العربية ، أو في اللغة الأعجمية كـ" شاهان شاه " ونحو ذلك .

وقد أشار المصنف إلى النهي عن ذلك قياساً على ما في حديث الباب لكونه شبهه في المعنى , وهذا كله صيانة لجناب التوحيد لمنافاة هذه الألفاظ لكماله .
أما إذا كان على جهة التقييد كأن يُقال : قاضي قضاة المشرق أو ملك أملاك العصر أو نحو ذلك فإن هذا لا حرج فيه إذ تنتفي فيه المشاركة لله جل وعلا .

قوله : [في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي قال : (إن أخنع اسم عند الله ، رجل تسمى ملك الأملاك ، لا مالك إلا الله)]
الحديث متفق عليه .
" أخنع " : يعني أوضع .
فأوضع وأذل اسم عند الله عز وجل رجل تسمى ملك الأملاك ، أو سُمي بذلك فرضي .
" لا مالك إلا الله " : فلا ملك أعظم ولا أكبر منه , وكل شيء ملكه سبحانه ، وأما البشر فملكهم زائل غير مستمر وهو ملك ناقص .
فقد عوقب بنقيض قصده فصار أخنع اسم وأوضعه عند الله تعالى ؛ لأن الذي حمله على ذلك الكبر والتعاظم .

قوله : [قال سفيان : مثل شاهان شاه]
وهي عند العجم عبارة عن ملك الأملاك ولهذا مثل به سفيان .

قوله : [وفي رواية : (أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه] قوله : " أخنع " يعني : أوضع.
هذه الرواية في الصحيحين .
" أغيظ " : من الغيظ وهو مثل الغضب والبغض ، أي فيكون بغيضاً إلى الله مغضوباً عليه .
وفي المسند أن النبي ﷺ قال : (اشتد غضب الله على رجل زعم أنه ملك الأملاك) .
" وأخبثه " : هذا يدل على أنه خبيث عند الله ، فاجتمعت في حقه هذه الأمور لتعاظمه في نفسه ، وتعظيم الناس له بهذه الكلمة التي هي من أعظم التعظيم ، فجعل نفسه مماثلاً لله بهذه التسمية.
فعلى ذلك لا يجوز التسمي بهذه الأسماء ، وذلك ينافي كمال التوحيد .

باب احترام أسماء الله تعالى ، وتغيير الاسم لأجل ذلك

هذا الباب فيه الإرشاد إلى الأدب الذي يجب أن يصدر من قلب الموحد ولسانه مع الله عز وجل ومع أسمائه وصفاته , فإن من تعظيم أسماء الله تعالى أن تحترم أسماء الله فلا تبتذل ولا تمتهن ومن ذلك أن يغير الاسم الذي سمي به الآدمي إذا كان لا يصلح إلا لله عز وجل .
لكن من باب الأدب مع الله تعالى ألا يسمى بها المخلوق وأن تغير لحديث الباب الآتي ذكره .
قوله : " باب احترام أسماء الله تعالى " : هذا الاحترام قد يكون واجباً ، وقد يكون مستحباً , فالواجب هو ألا تمتهن بل تكون مصونة عن الامتهان والابتذال .
والمستحب هو فيما كان من الأدب ألا يوصف به غير الرب جل وعلا وتغيير الاسم لأجل ذلك .
قوله : [عن أبي شريح : أنه كان يُكنى أبا الحكم ، فقال له النبي ﷺ : (إن الله ... فأنت أبو شريح) رواه أبو داود وغيره]
الحديث حديث حسن .
" عن أبي شُريح " : هو هانئ بن يزيد الكندي ﷺ وقد أسلم يوم الفتح .
فقال : " إن الله هو الحكم " الحكم اسم من أسماء الله تعالى الذي إذا حكم لا يُرد حكمه , فهو الحكم في الدنيا والآخرة ، يحكم بين خلقه في الدنيا بوحيه الذي أنزله على أنبيائه ورسله .
" وإليه الحكم " : في الدنيا والآخرة كما قال تعالى : ﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ﴾وقال تعالى : ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ... ﴾الآية , والحكم إلى الله تعالى هو الحكم إلى كتابه , والحكم إلى رسوله ﷺ هو الحكم إليه في حياته وإلى سنته بعد وفاته , وأما في الآخرة فلا يحكم بين الخلق إلا الله ، إذا جاء لفصل القضاء بين العباد .
" فقال : إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فأحكم بينهم فرضي كلا الفريقين " : المعنى – والله أعلم – أن أبا شُريح كان مرضياً عند قومه يتحرى ما يصلحهم إذا اختلفوا فيرضون صلحه ، فسموه أبا الحكم لذلك ؛ لأن مدار صلحه على الرضا لا على الإلزام ولا على أحكام الكهان وأهل الكتاب ولا على أوضاع الجاهلية , أما لو كان يلزمهم بحكم غير الله تعالى لما أقره النبي ﷺ على ذلك .
" ما أحسن هذا " : أي ما أحسن هذا الحكم بينهم لما صار صاحب إنصاف وتحرٍ للعدل بينهم والإرضاء لهم من الجانبين .

" فما لك من الولد ؟ قلت : شُريح ، ومسلم ، وعبدالله ، قال " فمن أكبرهم ؟ قلت شُريح ، قال : فأنت أبو شريح " : وفيه أنه كنَّاه بابنه الكبير فهو السنة .
وقد غيَّر النبي كنيته ؛ لأن الله هو الحكم على الإطلاق , وهل هذا على الوجوب أو الاستحباب ؟
الذي يظهر أنه على الاستحباب من باب الأدب مع الله سبحانه وتعالى , والدليل على ذلك قوله تعالى : فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها وقوله تعالى : وتدلوا بها إلى الحكام وهو جمع حاكم فقد أطلقها الله عز وجل على المخلوق , وأيضاً فإن النبي لم يغير اسم حكيم بن حزام ولا الحكم بن سعيد بن العاص رضي الله عنهما كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر رحمه الله مما يدل على أن هذا كان من باب الندب والاستحباب .
والمقصود : أن الأدب في هذا الباب ألا يسمى أحد بشيء يختص بالله جل وعلا ، ولذلك أتبع هذا الباب الذي قبله لأجل هذه المناسبة منه جهة أن في كلٍ منهما اشتراك في التسمية مع الله عز وجل .

باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

أي بيان حكم من هزل بشيء فيه ذكر الله عز وجل أو القرآن أو الرسول وأنه كافر لاستخفافه بالربوبية والرسالة , وذلك منافٍ للتوحيد وكفر بالإجماع ولو لم يقصد حقيقة الاستهزاء .
فإذا كان استهزاؤه لا يرجع إلى دين الرجل أي دين الإسلام و إنما يرجع إلى الرجل نفسه فيرجع استهزاؤه إلى الفاعل لا إلى الفعل تجد أن بعض الناس يستهزئ باللحية ليس استهزاءً باللحية نفسها أو ليس استهزاؤه بتقصير الثوب أو ليس استهزاؤه في صفة صلاة هذا المصلي وإنما استهزاؤه بالرجل نفسه فهذه معصية من كبائر الذنوب لكنها ليست بكفر.

قوله : [وقول الله تعالى : ولئن سألتهم ليقولن إنما كنَّا نخوض ونلعب]
ولئن سألتهم : أي هؤلاء المنافقين الذين تكلموا بكلمة الكفر ليقولن معترفين ومعتذرين إنما كنَّا نخوض ونلعب أي لم نقصد الاستهزاء والتكذيب : قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن والمراد آياته الشرعية وهو القرآن .
لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم : هذا دليل على كفر المستهزئ .
فهذه الآية نصٌّ في أن : المستهزئ بالله وآياته ورسوله كافر بالله عز وجل وأنه لا ينفعه اعتذاره أنه كان هازلاً ، لأن تعظيم الله عز وجل وتوحيده يوجب عليه ألا يستهزئ .
قوله : [عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة ، دخل حديث بعضهم في بعض : (أنه ... أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ما يلتفت إليه وما يزيده عليه]
حديث ابن عمر إسناده حسن وقد رواه ابن أبي حاتم وابن جرير . وأما روايات محمد بن كعب القرظي وزيد بن أسلم وقتادة فقد أخرجها ابن جرير وهي مراسيل ضعيفة ، لكن المراسيل إذا اختلفت مخارجها تقوت كما نص عليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى .
" دخل حديث بعضهم في بعض " : أي ما ذكر عنهم مجموعاً من رواياتهم فتقارب المعنى .
"أرغب بطوناً " : أي أوسع بطوناً .
" يعني النبي وأصحابه القراء " : وفي رواية : " يشير إلى رسول الله وهو منطلق إلى تبوك " فهم قد جمعوا بين الكذب والاستهزاء , وذلك لأن النبي وأصحابه كانوا أزهد الناس وأشجعهم وأصدقهم .
" فقال عوف بن مالك كذبت ولكنك منافق " : فهذا كذب على النبي وأصحابه واستهزاء بهم.
" إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب نقطع به عناء الطريق " : أي لم يقصدوا حقيقة الاستهزاء ، وإنما قصدوا الخوض واللعب والتحدث كما يتحدث الركبان إذا ركبوا رواحلهم ، وقصدوا ترويح أنفسهم وتوسيع صدورهم ليسهل عليهم السفر وقطع الطريق .
" متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله " : نسعة على وزن حكمة وهو سير عريض يشد به الرحال .

وهذا الحديث دليل على أن هذه الآية نزلت في المنافقين ومناسبة الحديث للباب ظاهرة ؛ وذلك لأن المنافقين يحكم لهم بالإيمان الظاهر فحكم الله بكفرهم بسبب هذه الكلمة وهذا يدل على أن الكفر يكون :
1 - بالقول ولو لم يعتقد كما في هذه القصة .
2 - كما أنه يكون بالفعل كوطء المصحف وإهانته .
3 - ويكون بالاعتقاد كاعتقاد فاعل مع الله تعالى أو نبي بعد محمد . ﷺ
4 - ويكون بالشك كالشك بوجود الله تعالى أو بنبوة محمد . ﷺ

باب ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ ولئن أذقناه رحمة منا بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي ﴾

مناسبة الحديث للباب: أن فيه بيان حال من كفر النعم ومن شكرَ
﴿ولئن أذقناه رحمة منا بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي ﴾ : فنسب النعمة إلى غير الله عز وجل وقد فسرها السلف بما ذكره الإمام المصنف رحمه الله .
" قال مجاهد : هذا بعملي وأنا محقوق به " : أي أنا مستحق لذلك وأنا له أهل , فقد نسب استحقاق النعمة إلى نفسه وأن الله عز وجل لم يتفضل عليه بهذا الشيء لأنه مستحق لهذا الإنعام .
" وقال ابن عباس : يريد من عندي " : أي أنا الذي أتيت بهذا المال أو هذه النعمة ، وهذا من عندي ولم يتفضل عليَّ به أحد .
إذن : فقد دخل في هذا الوصف الذي جاء في هذه الآية نوعان من الناس :
الأول : من ينسب الشيء إلى نفسه ولا يُنسبه إلى الله عز وجل أصلاً .
الثاني : أن ينسبه إلى نفسه من جهة الاستحقاق ، وأنه يرى نفسه مستحقاً لذلك الشيء .

قوله : [وقوله : ﴿ قال إنما أوتيته على علمٍ عندي ﴾ قال قتادة : على علم مني بوجوه المكاسب]
هذا في قصة قارون قال تعالى : ﴿إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة ﴾وذكر الإمام قول قتادة رحمه الله .
وهذا يحصل من كثير ممن أغناهم الله تعالى وصاروا في تجارة عظيمة ينسب الشيء إلى نفسه فيقول : أنا خبير وأنا أفهم وأنا عندي علم بوجوه المكاسب ، وينسى أن الله هو الذي تفضل عليه بهذه النعمة ، ولو منع الله السبب الذي فعله من التأثير لم يصر شيئاً فالله هو الذي وفقه وهداه لهذه الفكرة وهو الذي جعل السبب مؤثراً فالله هو المنعم ابتداءً وهو المنعم ختاماً فالواجب إذاً أن يتخلص العبد من رؤية نفسه وأن يعلم أنه لا حول ولا قوة إلا بالله كما قال سليمان عليه السلام لما حضر عنده عرش بلقيس قال (هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر...) .

قوله : [وعن أبي هريرة ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول : (إن ثلاثة من بني إسرائيل ، أبرص ، وأقرع ، وأعمى ، فأراد الله أن يبتليهم ... وسخط على صاحبيك) أخرجاه]
الدلالة من هذا الحديث ظاهرة ، فإن الله عز وجل عافى هؤلاء ، ولكنه لما عافاهم نسب اثنان منهم النعمة إلى أنفسهم ، والثالث نسبها إلى الله عز وجل .
فجزى الله الأخير خيراً وأدام عليه النعمة ، وعاقب ذينك الرجلين وهذا فضل منه سبحانه ، يُنعم ثم يُثبِّت النعمة فيمن يشاء ، ويصرفها عمن يشاء ومن أسباب ثبات النعمة أن يعظم العبد ربه ، وأن يعلم أن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، وأن النعمة هي نعمة الله عز وجل .

باب قول الله تعالى : ﴿ فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما ﴾

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: بيان أنَّ تعبيد الأولاد وغيرهم لغير الله في التسمية شركٌ في الطاعة وكفرٌ بالنعمة.
قال تعالى : ﴿هو الذي خلقكم من نفسٍ واحدة : ﴾وهي نفس آدم عليه السلام .
﴿وجعل منها زوجها ليسكن إليها : ﴾وهي حواء فإنها خُلقت من ضَلْعه .
﴿فلما تغشاها : ﴾أي جامعها .
﴿حملت حملاً خفيفاً ﴾: أي سهلاً .
﴿فمرت به فلما أثقلت ﴾: هذا في آخر الحمل .
﴿دعوا ربهما لئن آتيتنا صالحاً ﴾: أي بشراً سوياً .
﴿لنكونن من الشاكرين : ﴾لك على هذه النعمة المتجددة .
﴿فلما آتاهما صالحاً : ﴾أي بشراً سوياً كما تقدم .
﴿جعلا له شركاء فيما آتاهما : ﴾فلم يؤديا شكرها على الوجه المرضي ، بل أشركا في طاعة الله كما روى بتسمية عبدالحارث .
وقد اتفق المفسرون على أن صدر هذه الآية في آدم وحواء ، لكن اختلفوا في آخرها وهو قوله: ﴿فلما تغشاها حملت حملاً ..... ﴾: هل ذلك فيهما أم في ذريتهما .
والذي عليه عامة السلف أن القصة في آدم وحواء ، حتى قال الشيخ سليمان بن عبدالله : إن نسبة ذلك إلى غير آدم وحواء من التفاسير المبتدعة . ا.هـ . وسياق الآية يدل على ذلك وهذا قول ابن عباس . ﴿
فعلى ذلك قوله : ﴿شركاء فيما آتاهما : ﴾هذا من جهة التشريك في الطاعة وقد وقع ذلك – أي العصيان – من آدم عليه السلام قبل هذه المرة كما في أكله من الشجرة .
فعلى ذلك هذا من جهة التشريك في الطاعة ، ومعلوم أن كل عاصٍ مطيع للشيطان ، وكل معصية لا تصدر من العبد إلا وثمَّ نوع تشريك حصل له في الطاعة لأنه إما أن يُطيع هواه وإما أن يُطيع الشيطان .
ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " إنه ما من معصية يعصي بها العبد ربه إلا وسببها طاعة الشيطان أو طاعة الهوى . ا.هـ .
وهذا لا يقتضي – أي التشريك – نقصاً في مقامهما ولا يقتضي شركاً بالله جل وعلا وإنما هو تشريك في الطاعة .
والمعاصي أي صغار المعاصي جائزة على الأنبياء ولا تقدح في كمالهم ، لأنهم لا يستقيمون عليها بل يسرعون وينيبون إلى الله عز وجل ويكون حالهم بعدما وقع ذلك أعظم من حالتهم قبل وقوعه .
إذن : هذه القصة صحيحة ، وآثار السلف تدل عليها وسياق الآيات تدل عليها .
فهذه القصة لا تقتضي نقصاً في مقام آدم وحواء عليهما السلام بل هو ذنب من الذنوب تابا منه كما حصل لهما أول مرة في الأكل من الشجرة ، ولهذا فسر قتادة كلمة " شركاء " بقوله: " شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته " .

والقول الثاني : أنها في ذرية آدم عليه السلام وهو قول الحسن البصري واختاره ابن كثير وابن القيم وابن سعدي ؛ لأن الأنبياء منزهون عن الشرك , ولأنه لو كانت معصية من آدم عليه السلام لذكر الله تعالى توبته , فلما لم يذكر دلَّ على أنها في ذريته عليه السلام .

قوله : [قال ابن حزم : اتفقوا على تحريم كل اسم معبدٍ لغير الله ، كعبد عمر ، وعبد الكعبة ، وما أشبه ذلك ، حاشا عبد المطلب]

أجمع العلماء على تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد شمس وعبد عمر ، وعبد الكعبة ، وما أشبه ذلك ، لأنه شرك في الربوبية والألوهية .
" حاشا عبد المطلب " : فإنهم لم يتفقوا على تحريمه بل قال بعضهم بجوازه . استدل من قال بالتحريم بما في ذلك من شرك في الربوبية و الألوهية وأيضاً فيه إضافة النعمة إلى غير الله عز وجل .

وأما من قال بالجواز فقد استدل بقوله في غزوة حُنين : (أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب) وهو ثابت في الصحيح .
والراجح هو القول الأول .
وأما حديث (أنا ابن عبدالمطلب) فإن هذا من باب الإخبار ، وباب الإخبار أوسع من باب الإنشاء ، وليس فيه إقرار التسمية , ثم لو كان هذا دليلاً على جواز " عبدالمطلب " لكان دليلاً على جواز غيره ، كعبد مناف ونحوه، وقد وردت فيها بعض الأحاديث .

قوله : [وعن ابن عباس في معنى الآية : لما تغشاها آدم حملت فآتاهما إبليس ... ... فيما آتاهما رواه ابن أبي حاتم]
والأثر إسناده ضعيف .
" قرني إيَّلٍ " : ويصح بفتح الهمزة وكسر الياء ، وهو ذكر الأوعال وهو تيس الجبل.
وهذا الشرك في مجرد التسمية ، ولم يقصد حقيقتها .

قوله : [وله بسند صحيح عن قتادة ، قال : شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته]
هذا دليل على التفريق بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة . فالشرك في العبادة كفر أكبر مخرج من الملة . أما الشرك في الطاعة فله درجات تبدأ من المحرم والمعصية ، وتنتهي بالشرك الأكبر .

قوله : [وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله : لئن آتيتنا صالحاً قال : أشفقا ألا يكون إنساناً . وذُكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما]
فسمياه عبدالحارث ، فكان ذلك خلاف شكر تلك النعمة ، لأن من شكر نعمة الولد أن يُعبَّد الولد لله الذي أنعم به وأعطاه وتفضل به .

باب قول الله تعالى : ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يُلحدون في أسمائه

هذا الباب في وجوب تعظيم أسماء الله الحسنى وأن من تعظيمها ألا يلحد فيها وأن يدعى الله عز وجل بها.
والأسماء الحسنى : قد بلغت الغاية في الحسن ، واللام في قوله : لله للاستحقاق .
فادعوه بها : هذا شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة .
دعاء العبادة : بأن تتعبد الله عز وجل بما تضمنته أسماؤه الحسنى من المعاني فتتعبد لله بأن تتوسل إلى الله عز وجل في دعائك بالأسماء الحسنى فتقول – مثلاً – يا غفور اغفر لي ذنوبي ونحو ذلك .
وفي المسند والترمذي أن النبي سمع رجلاً يقول : " اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد " فقال : (لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دُعي به أجاب) .
وذروا الذين يُلحدون في أسمائه : أي اتركوهم .
والإلحاد في أسماء الله وصفاته : هو الميل بها عن الحق إلى الباطل .
وهذا الإلحاد مراتب :
فمن مراتبه : أن يُسمي المعبودات بأسماء الله عز وجل ، كما سموا اللات من الإله ، والعزى من العزيز .
ومنها : أن يُجعل لله تعالى ولد كما فعل النصارى .

ومن الإلحاد : إنكار الأسماء والصفات كما فعلت المبتدعة .
ومن الإلحاد أيضاً : جحد معانيها وتعطيلها ، وتحريفها عن الصواب وإخراجها عن الحق بالتأويلات .
والذي عليه أهل السنة والجماعة هو إثبات الصفات التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله على ما يليق بجلاله وعظمته ، إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل كما قال تعالى : ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

قوله : [وذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس : يُلحدون في أسمائه يشركون]
أي يجعلون اللات من الآله .

قوله : [وعنه : سموا اللات من الإله ، والعُزى من العزيز]
وتقدم أن هذا من مراتب الإلحاد .

قوله : [وعن الأعمش : يدخلون فيها ما ليس منها]
هذه مرتبة من مراتب الإلحاد في الأسماء ، لأن الله عز وجل له الأسماء الحسنى فمن أدخل اسماً لم يثبت في الكتاب والسنة فجعله اسماً لله فقد ألحد . لأنه مال عن الحق الذي يجب في الأسماء والصفات إلى غيره .

باب لا يُقال السلام على الله

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: لمَّا كان السلام على الشخص معناه: طلب السلامة له من الشرور، والآفات، امتنع أن يُقال السلام على الله؛ لأنه هو الغنيّ السالم من كلِّ آفة ونقص، فهو يُدعى ولا يُدعى له، ويُطلب منه ولا يُطلب له؛ فهذا الباب فيه وجوبُ تنزيه الله عن الحاجة والنقص ووصفه بالغنى والكمال.
قوله : [في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كنا إذا كنا مع النبي ..... فإن الله هو السلام]
الحديث متفق عليه .
وهذا الحديث فيه النهي عن قول : " السلام على الله " وفيه بيان العلة من ذلك وهي قوله):فإن الله هو السلام) فإن من أسمائه سبحانه السلام كما قال تعالى : هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام ومعناه : أنه متصف بالسلامة من النقائص والمعائب في ذاته وفي أسمائه وصفاته .
كما أنه سبحانه هو واهب السلام ومعطيه ، فهو الذي يُسلِّم من يشاء فهو السلام ومنه السلام .
وعلى ذلك ، فكيف يدعى لله بالسلامة وهو معطيها والمتصف بها ، وهو سبحانه الغني عن خلقه قال تعالى : يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد.
فقد دل هذا الحديث على أن من الأدب الواجب في أسماء الله وصفاته ألا يخاطب الله بهذا الخطاب فلا يُقال : السلام على الله ، لأن في هذا نقصاً في تحقيق التوحيد الواجب وهو مقتضى لاهتضام جناب الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات ، لأنه إذا سأل السلامة لله عز وجل فهذا يوهم أنه قابل لسواها تعالى الله عن ذلك وهذا تنقص لجناب الرب جل وعلا .

باب قول اللهم اغفر لي إن شئت

حقيقة التوحيد : أن يوحّد العبد ربَّه عز وجل بتمام الذل والخضوع والمحبة وأن يتضرع إلى الله عز وجل ويتذلل إليه بإظهار فقره التام إليه , وقول القائل : اللهم اغفر لي إن شئت يُفهم منه أنه مستغنٍ عن أن يُغفر له ولهذا حرم هذا اللفظ .

قوله : [في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله قال : (لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت ، ليعزم المسألة فإن الله لا مُكره له)]
الحديث متفق عليه .
" ليعزم المسألة " : أي ليجزم في مسألته ، وليحقق رغبته ، ويتيقن الإجابة .
" فإن الله لا مُكره له " : أي لا يكرهه أحد سبحانه وتعالى .
فالله عز وجل لا يضطره دعاءٌ ولا غيره إلى فعل شيء ، بل يفعل سبحانه ما يريد ، بخلاف العبد فإنه قد يعطي السائل مسألته لحاجته إليه أو لخوفه أو لرجائه ، فيُعطيه مسألته وهو كاره .
والإنسان عندما يقول : اللهم اغفر لي إن شئت ونحوها ، فإن في هذا تنقص لجناب الربوبية .

قوله : [ولمسلم : (ليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه)]
أي ليعظم طلبه وحاجته التي يريدها فإنه سبحانه يُعطي العظائم كرماً وجوداً وإحساناً .
وإن الله سبحانه لا يعظم ولا يعسر عليه شيء أعطاه وإن كان عظيماً في نفس المخلوق وذلك لكمال فضله وجوده .
ونفي الاستثناء بالدعاء في نحو قول : " اللهم اغفر لي إن شئت " هذا يدل على ضعف الرغبة ، وفيه استغناءٌ عن الرب جل وعلا ، كما أنه ينافي ما ينبغي أن يكون عليه الدعاء من الجزم والإلحاح .

باب لا يقل عبدي وأمتي

هذا الباب والأبواب قبله وما بعده كلها في تعظيم ربوبية الله جل وعلا وتعظيم أسماء الله وصفاته .
وتحقيق التوحيد لا يكون إلا بأن يعظم الله تعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته .
فتحقيق التوحيد لا يكون إلا باحتراس من الألفاظ التي يكون فيها إساءة أدب مع ربوبية الله جل وعلا أو مع أسمائه وصفاته ، ولهذا عقد المؤلف رحمه الله هذا الباب .
قوله : [في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله قال : (لا يقل أحدكم : أطعم ربك ، وليقل : سيدي ومولاي ، ولا يقل أحدكم :عبدي وأمتي ، وليقل : فتاي وفتاتي وغلامي)] الحديث متفق عليه .
وفيه النهي عن أن يُقال للعبد : أطعم ربك ، لأن فيها الإبهام والمحذور ، ولما فيها من التشريك في اللفظ ، لأن الله تعالى هو رب العباد جميعهم ، لكن ليقل : سيدي ومولاي .
وكذلك لا يقل الإنسان عبدي وأمتي ، لأن العبيد عبيد الله ، والإماء إماء الله قال تعالى : إن كل من في السموات والارض إلا آتي الرحمن عبداً ولكن ليقل : فتاي وفتاتي وغلامي ، ونحو ذلك .
ففي إطلاق هاتين الكلمتين على غير الله تشريك في اللفظ فنهاهم النبي عن كل ذلك تعظيماً لله تعالى ، وأدباً وإبعاداً عن الشرك وتحقيقاً للتوحيد وهذا من حماية المصطفى جناب التوحيد .
وقد اختلف أهل العلم هل النهي للتحريم أم للكراهة على قولين :

الأظهر أنه للكراهية ، كما هو قول غير واحد من أهل العلم كما قال ذلك صاحب الفروع . وقد قال تعالى في كتابه الكريم : ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم ﴾وقال تعالى عن يوسف عليه السلام : ﴿اذكرني عند ربك . ﴾
فالأظهر أن هذا من باب الأدب وأنه لا يقوى على التحريم ، ولأن الربوبية المقصود بها ما يناسب البشر ، فرب الدار ورب العبد هو الذي يملك أمره في هذه الدنيا .

باب لا يرد من سأل بالله

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: لأن في عدم إعطاء من سأل بالله عدم إعظامٍ لله، وعدم إجلالٍ له؛ وذلك يُخلُّ بالتوحيد.
روى الترمذي – والحديث حسن – أن النبي ﷺ قال : (ألا أخبركم بشر الناس) قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : (الذي يُسأل بالله فلا يُعطي) . فهذا يدل على وجوب إعطاء من سأل بالله عز وجل ، فمن سأل بالله فيجب إعطاؤه لا سيما إن سأل بوجه الله عز وجل .
ففي سنن أبي داود – والحديث حسن – أن النبي ﷺ قال : (من سألكم بوجه الله فأعطوه) .

قوله : [عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (من سأل بالله فأعطوه ، ...) رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح]
الحديث صحيح .
" من سأل بالله فأعطوه " : وذلك تعظيماً لله جل وعلا .
وفي هذه المسألة – أي وجوب إجابة من سأل بالله – أقوال لأهل العلم :
فقالت طائفة منهم : بل يجب إجابته مطلقاً ، ويحرم رده .
وقالت طائفة أخرى : بل يُستحب إجابته مطلقاً ، ويكره رده .
وقالت طائفة أخرى : قد يكون واجباً ، وقد يكون مستحباً ، وقد يكون مباحاً ، وهذا اختيار شيخ الإسلام وعدد من المحققين ، وهو الظاهر .
فيجب : إذا توجه السائل لمعين في أمر معين , والذي يظهر أنه : يقيد الوجوب هنا بألا يكون فيه إعانة على إثم لقوله تعالى : ﴿ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ , وألا يكون فيه حرج على المسؤول ؛ لأن الحرج مرفوع عن هذه الأمة قال تعالى : ﴿ما جعل عليكم في الدين من حرج. ﴾
ويُستحب : إذا توجه السائل لعدد من الناس .
ومباح : فيما إذا كان من سأل بالله يُعرف منه الكذب .
" ومن استعاذ بالله فأعيذوه " : من استعاذ بالله عز وجل فيجب إعاذته ، ولذا ثبت في البخاري ، لما قالت المرأة للنبي ﷺ : إني أعوذ بالله منك ، قال) : ﴿لقد عُذت بمعاذٍ ألحقي بأهلك) .
" ومن دعاكم فأجيبوه " : عامة أهل العلم على أن الوجوب مخصوص بوليمة العرس ، أما بقية الدعوات فإن إجابتها على الاستحباب .
" ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه " : أي فمن صنع إليك معروفاً فكافئه من جنس معروفه أو غيره .
" فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تُروا أنكم قد كافأتموه " : فإن لم تجد ما تكافئه به ، فادع له وأكثر حتى تظن أنك قد كافئته على معروفه .
وقوله : " تُروا " ، بضم التاء أي تظنوا , وضبطت بالفتح " تَروا " : أي تعلموا .

باب لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد ظاهرة وهي : أن تعظيم صفات الله جل وعلا من تحقيق التوحيد ، ومن كمال الأدب والتعظيم لله عز وجل .
ومن ذلك – أي من تعظيم صفات الله – ألا يسأل بوجه الله إلا المطالب العالية التي أعلاها الجنة .
فإن الله عز وجل لا يُسأل بصفاته الأشياء الحقيرة الوضيعة بل يُسأل بها أعظم مطلوب .
قوله : [عن جابر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (لا يسأل بوجه الله إلا الجنـة) رواه أبو داود)]
الحديث فيه سليمان بن قرن وهو سيء الحفظ ، فالحديث إسناده ضعيف ، لكن يشهد لعموم النهي ما روى الطبراني وغيره من حديث أبي موسى ﷺ أن النبي ﷺ قال : (ملعون من سأل بوجه الله ، وملعون من سئل بوجه الله ثم منع سائله ما لم يسأل هجراً) قال العراقي إسناده حسن .
فوجه الله عز وجل عظيم فلا يليق بالمسلم أن يسأل به شيئاً من حُطام الدنيا ، بل عليه أن لا يسأل به إلا المطالب العالية من الجنة ، وما يقرب إليها من الأقوال والأعمال .
وذكر الجنة في هذا الحديث من باب التنبيه على أنه لا يسأل بوجه الله تعالى إلا الأمور العظام وهي الجنة وما يوصل إليها من الأقوال والأعمال .

باب : ما جاء في اللو

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: أن من كمال التوحيد الاستسلام للقضاء والقدر؛ وأن قول "لو" لا يُجدي شيئاً، وهو يشعر بعدم الرضا بالقدر وهذا مخلٌّ بالتوحيد.
قوله : [وقول الله تعالى : ﴿ يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا ﴾ ، وقوله : ﴿ الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا] ﴾
في هاتين الآيتين حكاية لقول المنافقين .
ومناسبة الآيتين هي : أن التحسر على الماضي بلفظ " لو " إنما كان من خصال المنافقين ، فعلى ذلك يكون استعمالها من خصال النفاق وهذا يدل على حرمتها .
فإذن : استعمال " لو " إن كان في الماضي فإنه يحرم لما فيه من التحسر والحزن.

قوله : [في الصحيح عن أبي هريرة ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال : (أحرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ، ... عمل الشيطان)]
الشاهد قوله : (فإن أصابك شيء فلا تقل لو أنني فعلت كذا لكان كذا وكذا) هنا " لو " استعملت على الماضي والنهي هنا للتحريم وذلك لأن هذا سوء ظن ولأنه فعل لعمل الشيطان .
" فإن لو تفتح عمل الشيطان " : ومن عمله إلقاء الحسرة والحزن في قلوب المؤمنين : ﴿إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا . ﴾

والشيطان يأتي المصائب فيغريه بـ (لو) حتى إذا استعملها ضعف قلبه وعجز ، وظن أنه سيغير من قدر الله شيئاً وهو لا يستطيع ذلك بل قدر الله ماضٍ .
ولهذا أرشده النبي ﷺ أن يقول : " قدر الله وما شاء فعل " لأن ذلك راجع إلى قدرة الله ومشيئته .
فإذن : استعمال " لو " على الماضي محرم كما تقدم .
أما استعمالها في المستقبل فإنه لا يدخل في النهي كما لو كان تمني خير ونحو ذلك ومن ذلك قول النبي) : ﴿لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي ولجعلتها عمرة) فالأصل في هذا الجواز .

باب النهي عن سب الريح

الريح مخلوقة من مخلوقات الله عز وجل يسيرها سبحانه كيف يشاء وهي لا تملك شيئاً ، كالدهر لا يملك شيئاً فسب الريح كسب الدهر يرجع في الحقيقة إلى أذية الله عز وجل لأن الله هو الذي يصرف الريح كيف يشاء وسبها يكون بشتمها ولعنتها ، وليس من سبها أن توصف بالشدة ، كما قال تعالى : ﴿ريح صرصر عاتيه ﴾ وقوله : ﴿ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ﴾ فليس هذا من المنهي عنه .
قوله : [عن أبي بن كعب ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال : (لا تسبوا الريح ، فإذا رأيتم ما تكرهونه ، فقولوا : اللهم ... ما أمرت به) صححه الترمذي]
الحديث صحيح .
(لا تسبوا الريح) : النهي للتحريم .
(فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا : اللهم .... ما أمرت به) : إذا رأيتم ما تكرهون من الريح إذا هبت فأرجعوا إلى ربكم بالتوحيد .
وللريح ملائكة تصرفها كيف شاء الله عز وجل وقد يكون منها خير وقد يكون فيها عذاب .
وقوله : " إذا رأيتم ما تكرهون " : قد يكون هذا من جهة صفة الريح – أي من حيث السرعة والاتجاه – وقد يكون من جهة لون الريح وقد يكون من جهة أثرها.
وفي هذا القول : عبودية لله عز وجل وطاعة له ولرسوله ، واستدفاع للشرور به ، وتعرض لفضله ونعمته ، وهذه حال أهل التوحيد والإيمان خلافاً لحال أهل الفسق والعصيان الذين حرموا ذوق طعم التوحيد .

باب قول الله تعالى: {يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ} الآية.

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: التنبيه على أن حسن الظن بالله من واجبات التوحيد، وأن سوء الظن بالله ينافي التوحيد.
المعنى الإجمالي للآية: يخبر تعالى عما حصل من المنافقين يوم أحد أنهم ظنوا بالله الظن الباطل، وأنه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وأن الأمر لو كان إليهم وكان الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأصحابه تبعاً لهم يسمعون منهم؛ لما أصابهم القتل، ولكان النصر والظفر لهم؛ فأكذبهم الله عز وجل في هذا الظن، وبين أنه لا يكون ولا يحدث إلا ما سبق به قضاؤه وقدره وجرى به كتابه السابق وأنه لا راد لقضائه.

قال ابن القيم –رحمه الله– في الآية الأولى : "فُسِّر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحِلّ، وأن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته، ففُسِّر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله وأن يظهره الله على الدين كله. وهذا هو ظن السوء

الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح، وإنما كان هذا ظن السوء؛ لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق.

فمن ظن أنه يُديل الباطل على الحق إدالة مستقرّة يضمحلّ معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدَّرَه بحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة، فـ {ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ} [سورة ص: 27] . وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته ومُوجب حكمته وحمده ووعده الصادق.

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء.

ولو فتَّشت من فتشت لرأيت عنده تعنتاً على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقلٌّ ومستكثر، وفتِّش نفسك هل أنت سالم؟

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة
وإلا فإني لا إخالك ناجياً

الشرح : فسر هذا الظن بثلاثة تفاسير :

1- بإنكار الحكمة: أي: أن ما أجراه في وقعة أحد لم يكن لحكمة بالغة وهي التي أشار إليها بقوله تعالى: {وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [آل عمران: 154] .

2- وإنكار القدر: أي: أنهم لو أطاعونا ولم يخرجوا ما قتلوا.

3- وإنكار أن يتم أمر رسولِه: حيث ظنوا أن المشركين لما ظهروا تلك الساعة أنها الفاصلة وأن الإسلام قد باد أهلُه.

قوله (وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم) وغالب بني آدم إلا من شاء الله يعتقد أنه مبخوس الحق، ناقص الحظ وأنه يستحق فوق ما أعطاه الله، ولسان حاله يقول: ظلمني ربى، ومنعني ما أستحقه، ونفسه تشهد عليه بذلك، وهو بلسانه ينكره، ولا يتجاسر على التصريح به.

قوله (ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتا على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا) قال ابن الجوزي : الواحد من العوام إذا رأى مراكب مقلدة بالذهب والفضة، ودارا مشيدة مملوءة بالخدم والزينة، قال: انظروا ما أعطاهم الله مع سوء أفعالهم، ولا يزال يلعنهم ويذم معطيهم، حتى يقول: فلان يصلي الجماعات والجمع، ولا يؤذي الذر، ويظهر الإعجاب كأنه ينطق: لو كانت الشرائع حقا لكان الأمر بخلاف ما ترى، وكان الصالح غنيا والفاسق فقيرا.اهـ .

وكثير من العوام إذا رأى رجلا صالحا مؤذى قالوا: هذا ما يستحق، أو هذا ابن حلال ، قدحا في القدر، وارتفاعا على الخالق جل وعلا في التحكم عليه

.

باب ما جاء في منكري القدر

مناسبة الباب لكتاب التوحيد : أنه
لما كان توحيد الربوبية لا يتم إلا بإثبات القدر، والإيمان به ذكر المصنف ما جاء في الوعيد في إنكاره؛ تنبيهاً على وجوب الإيمان به.

قال المؤلف رحمه الله : وقال ابن عمر: "والذي نفس ابن عمر بيده؛ لو كان لأحدهم مثل أحد ذهباً، ثم أنفقه في سبيل الله: ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر". ثم استدل بقول النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره". رواه مسلم.

المعنى الإجمالي للأثر: أن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما– لما بلغه أن قوماً ينكرون القدر، بين أنهم بهذا الاعتقاد الفاسد قد خرجوا من الدين؛ حيث أنكروا أصلاً من أصوله، واستدل على ذلك بحديث الرسول – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– الذي ورد فيه أن الإيمان بالقدر أَحد أركان الإيمان الستة التي يجب الإيمان بها جميعاً؛ فمن جحد بعضَها فهو كافرٌ بالجميع.

فوائد هذا الباب :

1- أن إنكار القدر كفرٌ.
2- أن الأعمال الصالحة لا تُقبل إلا من المؤمن.
3- الاستدلال على الأحكام من الكتاب والسنة.
4- الوعيد الشديد المترتب على إنكار القدر.
5- إثبات القلم وكتابة المقادير الماضية والمستقبلة به إلى قيام الساعة.

6- سؤال العلماء عما أشكل من أمور الاعتقاد وغيره حيث أن ابن الديلمي وهو من كبار التابعين ذهب لعدد من الصحابة حتى يزيلوا الشبهه.
7- أن من وظيفة العلماء كشفَ الشبهات ونشر العلم بين الناس.

باب ما جاء في المصورين

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: لما كان التصوير وسيلة إلى الشرك المضاد للتوحيد – بل هو منشأ الوثنيةوما دخل على القرون قبلنا إنما هو من هذا الباب – ناسب أن يعقد المؤلف هذا الباب؛ لبيان تحريمه وما ورد فيه من الوعيد الشديد.

قوله : عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي؛ فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة" أخرجاه.

ومن أظلم: أي: لا أحد أظلم منه.
فليخلقوا: أمرُ تعجيز وتحدّ وتهديد.
المعنى الإجمالي للحديث: يروي النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عن ربه عز وجل أنه يقول: لا أحد أشد ظلماً ممن يصور الصور على شكل خلق الله؛ لأنه بذلك يحاول مشابهة الله في فعله، ثم يتحداه الله –عز وجل– ويبين عجزه عن أن يخلق أصغر شيء من مخلوقاته وهو الذرة، بل هو عاجز عن أن يخلق ما هو أدنى من ذلك وهو الجماد الصغير، ومع ذلك لا قدرة لهم على ذلك كله؛ لأن الله هو المتفرد بالخلق.

قوله : ولهما عن عائشة –رضي الله عنها–: أن رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قال: "أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله"

المعنى الإجمالي للحديث: يخبر – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– خبراً معناه: النهي والزجر، أن المصورين أشد الناس عذاباً في الدار الآخرة، لأنهم أقدموا على جريمة شنعاء وهي صناعتهم ما يشابه لخلق الله في صناعة الصور.
قال العلماء: تصوير صورة الحيوان حرام شديد التحريم، وهو من الكبائر المتوعد عليها بهذا الوعيد الشديد، وسواء صنعه لما يمتهن أم لغيره فصنعه حرام بكل حال.

فأما من لم يقصد بها العبادة ولا المضاهاة فهو فاسق صاحب ذنب كبير، لا يكفر كصاحب المعاصي .

قوله : ولهما عن ابن عباس –رضي الله عنهما– سمعت رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يقول: "كل مصوِّر في النار، يُجعل له بكل صورة صوَّرها نفس يُعذَّب بها في جهنم" . ولهما عنه مرفوعاً: "من صوّر صورة في الدنيا؛ كُلِّف أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ" .

(يجعل له بكل صورة نفسٌ يعذّب بها) : الباء بمعنى "في" أي: يُجعل له في كل صورة روحٌ تعذِّبه نفس الصورة التي جُعلت فيها الروح.

فيستفاد من هذا تحريم التصوير بجميع أنواعه: تماثيل أو نقوش، وسواء كان رسماً باليد أو التقاطاً بآلة التصوير الفوتوغرافية، إذا كانت الصورة من ذوات الأرواح، إلا ما دعت إليه الضرورة.

(وليس بنافخ) أي لا يمكنه ذلك، فيكون معذبا دائما، فالحديث يدل على طول تعذيبه، وإظهار عجزه عما كان تعاطاه، ومبالغة في تحريمه، وبيان قبح فعله.

قوله : ولمسلم عن أبي الهيَّاج؛ قال: قال لي عليّ —رضي الله عنه–: "ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: ألا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مُشْرِفاً إلا سويته"

والشاهد (ألا تدع صورة إلا طمستها) وهي: إزالة الصور ومحوُها؛ لما فيها من المضاهاة لخلق الله والافتتان بها بتعظيمها؛ مما يؤول بأصحابها إلى الوثنية.وفيه أيضاً أن التصوير مثل البناء على القبور وسيلة إلى الشرك.

إذن التصوير حرم لأجل أمرين : أن فيه مضاهاة لخلق الله , وأنه وسيلة من وسائل الشرك.

باب ما جاء في كثرة الحلف

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: أن من كمال التوحيد احترام اسم الله وعدم امتهانه بكثرة الحلف؛ لأن ذلك يدل على الاستخفاف به وعدم التعظيم له جل وعلا .

وقول الله تعالى: {..وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ..}

واحفظوا أيمانكم: أي: لا تحلفوا، وقيل: لا تتركوها بغير تكفير، وقيل: لا تحنثوا.

قوله : عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: سمعت رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يقول: "الحلِف مَنْفَقَة للسلعة مَمْحقة للكسْب" أخرجاه.

المعنى الإجمالي للحديث: يحذر –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– من التهاون بالحلف وكثرة استعماله؛ لترويج السلع وجلب الكسب، فإن الإنسان إذا حلف على سلعة أنه أُعطي فيها كذا وكذا أو أنه اشتراها بكذا وهو كاذب فقد يظنه المشتري صادقاً فيما حلف عليه فيأخذها بزيادة على قيمتها تأثراً بيمين البائع، وهو إنما حلف طمَعاً في الزيادة؛ فيكون قد عصى الله، فيعاقب بمحق البركة.
فيستفاد من هذا أن الكسب الحرام وإن كثُرت كمّيته فإنه منزوع البركة لا خير فيه.

وقوله: وعن سلمان –رضي الله عنه أن رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قال: "ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: أُشَيْمِط زانٍ، وعائل مستكبِر، ورجل جعل اللهَ بضاعتَه، لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه" رواه الطبراني بسند صحيح.

يخبر –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عن ثلاثة أصنافٍ من العصاة يُعاقبون أشد العقوبة، لشناعة جرائمهم . والشاهد منه قوله (ورجل جعل الله بضاعته...) أي من يجعل الحلف بالله بضاعةً له يكثر من استعماله في البيع والشراء فيمتَهِن اسم الله ويجعله وسيلةً لاكتساب المال.

وقوله وفي الصحيح عن عمران بن حصين –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم". قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنِه مرتين أو ثلاثاً. "ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن"

مناسبة الحديث للباب: أن فيه ذم الذين يتساهلون بالشهادة وهي نوعٌ من اليمين.
ما يستفاد من الحديث:
1– فضل القرون الثلاثة أو الأربعة: الصحابة والتابعين وأتباعهم.
2– ذم التسرع في الشهادة.

3- ذم التهاون بالنذور ووجوب الوفاء بها.

4- ذم الخيانة في الأمانة والحث على أدائها.

5- ذم التنعم والرغبة في الدنيا والإعراض عن الآخرة.

6- علَم من أعلام نبوته –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حيث أخبر بالشيء قبل وقوعه فوقع كما أخبر.

باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

وقول الله تعالى: {وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا} الآية.

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد:

التنبيه على أن الوفاء بالعهود تعظيمٌ لله، وعدم الوفاء بها عدم تعظيمٍ له؛ فهو قدحٌ في التوحيد.

وقوله : عن بريدة –رضي الله عنه- قال: كان رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إذا أمَّر أميراً على جيش أو سَرِيَّة؛ أوصاه بتقوى الله —تعالى- ومن معه من المسلمين خيراً، فقال: "اغزُوا بسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله...الخ . رواه مسلم.

مناسبة ذكر الحديث في الباب: أن فيه النهيَ عن إعطاء ذمة الله وذمة رسوله للكفار؛ خشية عدم الوفاء بذلك، فتكون الجريمة عظيمة، ويكون ذلك هضماً لعهد الله، ونقصاً في التوحيد.

باب ما جاء في الإقسام على الله

أي ذكر ما جاء من الأدلة الدالة على تحريم الحلف على الله، إذا كان على جهة الحجر على الله، والقطع بحصول المقسم على حصوله، وهو التألي .

عن جندب بن عبد الله –رضي الله عنه- قال: قال رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله عز وجل: من ذا الذي يتألَّى عليّ أن لا أغفر لفلان؟! إني قد غفرت له وأحبطت

عملَك" . رواه مسلم.

وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجل عابد.

قال أبو هريرة: "تكلم بكلمة أَوبَقَتْ دنياه وآخرتَه" .

المعنى الإجمالي للحديث: يخبر النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على وجه التحذير من خطر اللسان، أن رجلاً حلف أن الله لا يغفر لرجلٍ مذنبٍ؛ فكأنه حكم على الله وحجر عليه؛ لما اعتقد في نفسه عند الله من الكرامة والحظّ والمكانة، ولذلك المذنب من الإهانة، وهذا إملاء على الله وسوءُ أدب معه، أوجب لذلك الرجل الشقاءَ والخسران في الدنيا والآخرة.

ما يستفاد من الحديث:

1- تحريم الإقسام على الله إلا إذا كان على وجه حسنِ الظنّ به وتأميل الخير منه.

2- وجوب حسن الأدب مع الله.

3- شدة خطر اللسان ووجوب حفظه.

باب لا يستشفع بالله على خلقه

عن جُبَير بن مطعِم –رضي الله عنه- قال: جاء أعرابي إلى النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقال: يا رسول الله: نُهكت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال؛ فاستسق لنا ربَّك؛ فإنا نستشفع بالله عليك، وبك على الله، فقال النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "سبحان الله! سبحان الله! " فما زال يسبِّح حتى عُرِف ذلك في وجوه أصحابه. ثم قال النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "ويحك! أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك؛ إنه لا يُستشفع بالله على أحد من خلقه" وذكر الحديث. رواه أبو داود.

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: بيان تحريم الاستشفاع بالله على خلقه؛ لأنه هضمٌ للربوبية وقدحٌ في توحيد العبد؛ لأن الشافع يشفع عند من هو أعلى منه والله تعالى منزّه عن ذلك؛ لأنه لا أحد أعلى منه.

ما يستفاد من الحديث:

1- تحريم الاستشفاع بالله على أحدٍ من خلقه؛ لما في ذلك من التنقص لله تعالى.

2- تنزيه الله عما لا يليق به.

3- إنكار المنكر وتعليم الجاهل.

4- جواز الاستشفاع بالرسول – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في حياته، بأن يطلُب منه أن يدعوَ الله في قضاء حاجة المحتاج؛ لأنه مستجاب الدعوة، أما بعد موته فلا يُطلب منه ذلك لأن الصحابة لم يكونوا يفعلون ذلك.

5- التعليم بطريقة السؤال، لأنه أوقع في النفس.

باب ما جاء في حماية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمى التوحيد وسده طرق الشرك

عن عبد الله بن الشِّخِّير –رضي الله عنه– قال: انطلقتُ في وفد بني عامر إلى رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فقلنا: أنت سيِّدنا. فقال: "السيد الله تبارك وتعالى". فقلنا: وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طولاً. فقال: "قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان". رواه أبو داود بسند جيِّد.

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: بيان أن التوحيد لا يتم إلا بتجنُّب كل قول يفضي إلى الغلو في المخلوق – وإن كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم –، ويُخشى منه الوقوع في الشرك.والشاهد منه أن نبينا محمد عليه السلام مع جلالة قدره وعلو منزلته عند ربه جل وعلا إلا أنه كره هذه الألفاظ تأدبا مع ربه.

وقوله : وعن أنس –رضي الله عنه– أن ناساً قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا، وابن سيدنا. فقال: "يا أيها الناس، قولوا بقولكم، ولا يستهوينَّكم الشيطان، أنا محمدٌ عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل" . رواه النسائي بسند جيد.

المعنى الإجمالي للحديث: كره – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مدحَه بهذه الألفاظ ونحوها؛ لئلا يكون ذلك وسيلةً إلى الغلو فيه والإطراء. وأرشدهم أن يصفوه بصفتين هما أعلى مراتب العبد، وقد وصفه الله بهما في مواضع وهما: عبد الله ورسوله، ولا يريد أن يرفعوه فوق هذه المنزلة التي أنزله الله إياها.

ما يستفاد من الحديث:

1- النهي عن الغلو في المدح خصوصا إذا كان أمام الممدوح وخيف أن يغتر ففي صحيح مسلم (احثوا التراب في وجوه المداحين)

2- تواضعه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وحرصه على صيانة العقيدة عما يخل بها.

3- أنه عبد الله ورسوله، وليس له من الأمر شيء؛ والأمر كله لله سبحانه.

4- التحذير من كيد الشيطان؛ وأنه قد يأتي من طريق الزيادة على الحد المشروع.

باب قول الله تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} .

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: أراد المصنف - رحمه الله - أن يختم كتابه بهذا الباب المشتمل على النصوص الدالة على عظمة الله، وخضوع المخلوقات له؛ مما يدل على أنه هو المستحق للعبادة وحده، وأن له صفات الكمال ونعوت الجلال.

ثم ذكر المؤلف رحمه الله حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: "جاء حَبْر من الأحبار إلى رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على أَصبُع، والأرضين على أصبع، والشجر على أصبع، والثرى على أصبع، وسائر الخلق على أَصبُع، فيقول: أنا الملك. فضحك النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حتى بدت نواجِذُه، تصديقاً لقول الحَبْر". ثم قرأ: {وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} الآية. وفي رواية لمسلم: "والجبال والشجر على أصبع ثم يهزهن فيقول: أنا الملك، أنا الله"، وفي رواية للبخاري: "يجعل السماوات على أصبع، والماء والثرى على أصبُع، وسائر الخلق على أصبُع" أخرجاه.

ما يستفاد من الآية والحديث برواياته:

1- بيان عظمة الله سبحانه وصغر المخلوقات بالنسبة إليه.

2- أن من أشرك به سبحانه لم يُقدِّره حق قدره.

3- إثبات اليدين والأصابع واليمين والشمال والكف لله سبحانه على ما يليق به.

4- أن هذه العلوم الجليلة التي في التوراة باقيةٌ عند اليهود الذين في زمن الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لم ينكروها ولم

يحرِّفوها.

5- تفرّد الله سبحانه بالملك وزوال كل ملكٍ لغيره.

ويستفاد من حديث أبي ذر رضي الله عنه

1- أن الكرسي أكبر من السماوات، وأن العرش أكبر من الكرسي.

2- عظمة الله وكمال قدرته.

3- أن العرش غيرُ الكرسي.

4- الرد على من فسّر الكرسي بالملك أو العلم.

ثم ذكر رحمه الله أحاديث

ما يستفاد من حديثي ابن مسعود والعباس بن عبد المطلب :

1- فيهما بيان عظمة الله وقدرته ووجوب إفراده بالعبادة.

2- فيهما بيان صفة الأجرام العلوية وعظمتها واتِّساعها وتباعد أقطارها.

3- فيها الرد الواضح على أهل النظريات الحديثة الذين لا يؤمنون بوجود السماوات والكرسيّ والعرش ويزعمون أن الكون العلوي فضاءٌ وكواكبٌ فقط.

4- فيهما إثبات علو الله على خلقه بذاته المقدسة؛ خلاف ما تزعمه الجهمية والمعتزلة والأشاعرة الذين ينفون علو الله على خلقه.

5- فيها إثبات علم الله المحيط بكل شيء مع علوه فوق مخلوقاته.

6- فيها مشروعية بيان هذه الحقائق العظيمة للناس؛ ليعرفوا عظمة الله وقدرته .

والله أعلم. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه